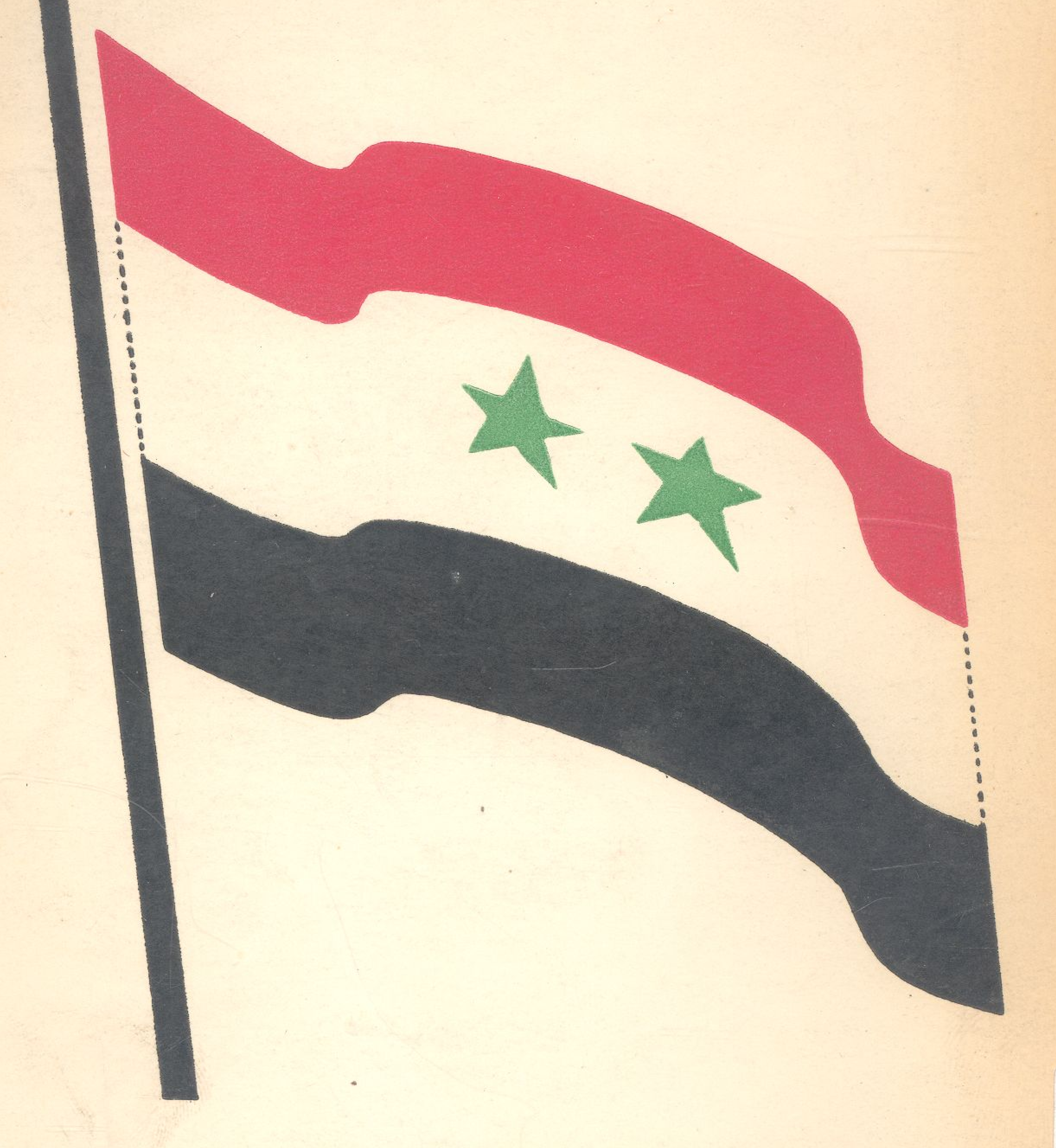
انور السادات



معنى الاتحاد القومي

انور السادات

معنى الاتحاد القومى

تحيا معنا الآن فى لحظتنا التاريخية المجيدة الراهنة كلمات نتداولها ببساطة ، ونعبر بها عن أشياء كثيـــرة تدور فى خواطرنا ولكننا قد لا نستطيع تحديد كنهها أو الاحاطة بها احاطة تفصيلية.

فكلمة القومية العربية مثلا ، ان معناها الظاهرى واضح وبسيط ولا يحتاج الى أعمال فكر أو بحث تاريخ ، ولكننا نقولها ونحن لا نعنى ذلك المعنى البسيط فقط ، انما نحن نحـــاول أن نعبـــر بكلمة القومية العربية عن أشياء ومعانى ومدلولات كثيرة ندركهـا بوجداننا ، ولكننا لم نستطع بعد أن نحـــددها التحديد العلمى الواضح ، ولهذا فمجال البحث فى مدلول كلمـــة القومية العربية وأبعادها فى حاجة الى دراسات ومؤتمرات وكتب كثيرة قبل أن نجرؤ على القول أننا قد أحطنا بها احاطة كاملة ..

كلمة الاتحاد القومى

وكذلك كلمة مثل الاتحاد القومى ، نقولها ببســاطة أيضا ، وممكن أن نعنى بقولها مجرد التعبير عن المعنى السريع الخاطف الذى تؤديه الكلمة ، ولكن الواقع هو أننا لا نتداول كلمة الاتحاد القومى لنعبر بها فقط عن هذا المعنى السريع ، ولكننا نقولها لنعبر أيضا عن معان ومدلولات كثيرة مما يدور فى خلدنا ولم يخرج بعيـد من حيز الوجدان الى حيز المنطق والتدبر والتفكير ..

وتلك ظاهرة كفاحنا الراهن ..

فنحن نعمل بوحى فطرى تمليه علينا غريزتنا فى طلب الحرية

والاستقلال والعيش فى سلام ، وكثيرا ما نعمل أولا ثم نفلسف بعد ذلك ونفكر ..

نحن الآن فى مرحلة العمل ، فى مرحلة الكفاح الغريزى من أجل الحرية والبقاء ، ولهذا فأعمالنا تعتبر فى الوقت نفسه فكرا وفلسفة ، أو تعبر فى الوقت نفسه عن فكر وعن فلسفة .

وكلمة الاتحاد القومى تتداول الآن بكثرة ، والعمل قائم على قدم وساق لبنائه وتأسيس دعائمه ، وقد تكون هذه الكلمة بسيطة وواضحة ليست فى حاجة إلى شرح أو دراسة أو تفسير ، وقد يمكن أن تؤخذ كما هى وتفهم كما هى ، ويبنى الاتحاد القومى على هذه الأسس .

وممكن أيضا ، أن نحاول ان ندرك ماذا نعنيه بقولنا « الاتحاد القومى » أكثر من مجرد المعنى الظاهرى للكلمة .

ماذا وراء الاتحاد القومى ؟

الاجابة على هذا السؤال ليست بسيطة ، وتحتاج لأكثر من عقل وأكثر من قلم وأكثر من كتاب ، بل تحتاج الى جدال واختلاف وصراع .

ولكن ..

فى رأينا ، أنه مهما تعددت الطرق التى تسلك للاجابة على هذا السؤال ، فلا بد أن تنتهى كلها الى أنه من الواجب علينا لكى ندرك ما وراء قيام الاتحاد القومى ، أن نعرف وضعنا الراهن على التحديد ..

وضعنا السياسى والاجتماعى والاقتصادى القائم اليوم فى الجمهورية العربية المتحدة ، الوضع الكائن والوضع الذى كان ..

وقد لا يدعو الامر الى الخوض فى تفاصيل كثيرة ، ولكن كل ما نستطيع قوله الآن هو **ان الوضع القائم فى الجمهورية العربية المتحدة وضع كان لا يمكن الا ان يوجد ، وكان لا يمكن أن يوجد الا على الصورة الموجود بها الآن ..**

تلك حقيقة من الصعب أن يصدقها بعض من لم يتعودوا تصديق الحقائق ، ولكن هذا لا ينفى أنها حقيقة ..

والخطأ دائما يأتى من محاولة تطبيق ما يحدث فى بلد ما على ما يحدث في بلاد أخرى . وكذلك من محاولة تطبيق ما حدث في بلاد أخرى خلال فترات تاريخية مماثلة على ما يحدث فى بلد ما . ان هذا التطبيق الأعمى يؤدى دائما الى نتائج وخيمة ، بل أحيانا الى مآس دامية ..

وإذا أخذنا البلاد التى استعمرت فترة من فترات تاريخها ثم تحررت واستقلت ، نجد أن كل بلد منها قد ثار على الاستعمار وتحرر بطريقة اختلفت من بلد الى آخر .

قضية التحرر واحدة ولكن ..

قضية التحرر واحدة دائما ، ولكن الكيفية التى يتم بها هذا التحرر لا بد أن تختلف تبعا لاختلاف الظروف والاوضاع والملابسات.

فهى تختلف مثلا تبعا لـ :

- اختلاف نوع الاستعمار
- اختلاف الكيفية التى تم بها الاستعمار والسيطرة .
- اختلاف طبيعة الشعب المستعمر وجغرافيته .
- المرحلة التاريخية السابقة على الاستعمار .
- المحاولات التى قامت للتخلص منه وخبرة الشعب الذاتية فى الكفاح ضده .

- وضع البلد المستعمر من العالم وكذلك وضع البلد المستعمر
- المرحلة التاريخية التى تم فيها الاستعمار ٠
- المرحلة التاريخية التى يتم فيها التحرر ٠
- الوضع العالمى ٠

وليست هذه بالتأكيد هى كل العوامل ، فقد أوردناها على سبيل التمثيل لا الحصر ٠٠

ولكننا لو أخذنا بلداكمصر مثلا فنحن حينئذ لا نستطيع أن نطبق عليها ما حدث فى الصين ، ولا ما حدث فى اندونيسيا ، ولا ما يحدث الآن فى الجزائر ٠٠ كل بلد من هذه البلاد سلك ويسلك الى الحرية طريقا مختلفا عن الطريق الذى سلكه غيره لاختلاف العوامل السابقة فى هذا البلد عنها فى البلاد الأخرى ٠٠

ولهذا ، ومن حيث إن الطريق الذى يسلكه كل شعب الى التحرر مختلف ، فلا بد ان يكون الوضع بعد التحرر مختلفا أيضا٠

صحيح أن الدول المختلفة تكون قد استقلت وتحررت وانتقلت من بند المستعمرات الى بند الدول ذات السيادة ، ولكن الاوضاع فى هذه البلاد المستقلة لا بد أن تكون مختلفة ، وان تمتعت جميعها بالحرية والاستقلال ٠٠

الاختلاف عامل قوة

والاختلاف هنا ليس عامل ضعف ، انه عامل قوة ، فالشعب حين يثور على القوى الاستعمارية التى تستعبده يختار دائما أنسب الطرق لانجاح ثورته ، واختياره هذا لا يكون وليد الصدفة، ولا تتفتق عنه عبقرية واحد من الناس ، ولكنه اختيار مستمد من خبرة الشعب الطويلة التى تكونت لديه خلال العشرات أو المئات أو ربما الالوف من السنين التى كان عليه فيها أن يكافح أعداءه ويخلص بلاده من ربقتهم ٠٠

ولهذا فان وسائل المقـاومة التى يستنبطها كل شعب تختلف أيضا ـ تبعا لاختلاف الظروف المشار اليها ـمن بلد الى آخـــر ، ولكن الأمر المؤكد هو أن الوسيلة التي يختارها الشعب هي أنسب وسيلة مقاومة بالنسبة له ولتاريخه ولظروفه ..

تجارب مع الاستعمار

واذا جئنا الى الوضع فى مصر وجدنا أنه منـذ أن وضـــع أعداؤنا الانجليز أقدامهم فى بلادنا ، بل وقبل ان يضعوا أقدامهـم فى بلادنا ، ونحن نقاومهم مقاومة لا هوادة فيهـــا ولا توقف .. جربنا طرقا كثيرة لهذه المقاومة ، وجربنا الحرب السافرة (حرب الجيوش للجيوش كما حدث فى ثورة عرابى سنة ١٨٨٢) ، وجربنا الصبر والترقب ، وجربنا المفاوضة ، وجربنا الثـــورة الشـــعبية والعصيان وحرب العصابات والمقاطعة ..

وكان الاحتلال الانجليزى يجرب هو الآخر معنـــا وسائله ، جرب معنا العنف السافر فلما فشل ، لجأ الى الخداع والتضليل ، وصرف الأنظار الى أعداء آخرين وهميين غيره ، والبـــاس رئيس الوزراء الانجليزى ثوبا مصريا ، أو الباس رئيس الوزراء المصرى ثوبا انجليزيا ، واســـتعمال الشعب ضد السلطان أو الملك واستعمال الملك ضد الشعب ، والوفـــد ضد الدستوريين ، والسعديين ضد الكتلليين .. ولم يفرغ جرابه أبدا ..

وأخيرا جدا ، وفى سنة ١٩٥٢ جربنا مع الاستعمار سلاحـا آخـــر ..

واحدا من سلسلة حروب المقاومة التى لم تهدأ منذ أن وضـع الانجليز أقدامهم على أرضنا ، وكانت التجربة محفـــوفة بالخطورة العظمى ، فقد كانت تجربة ضد رأس الرمح فى القوى المسيطرة على الحكم فى مصر ..

تجـربة مع الملك

أما لماذا الملك بالذات ، فالواقع أننا الآن نستطيع أن نتكلم ·· الآن ، بعد أن انجلى غبار المعركة ، وبعد أن صنعنا من بلدنا وطنا حرا مستقلا ، نستطيع أن ننظر الى ما فعلناه ، ونحلله ونرى ما فيه من خطأ وما فيه من صواب ، والدافع الذى حدا اليه ··

فالحقيقة التى نستطيع أن نقولها بملء فمنا الآن هى أننا فى تجاربنا المختلفة لطرد المستعمرين ، كنا قد غفلنا ــ أو كان الاستعمار قد أفلح فى صرف أنظارنا ــ عن الحقيقة البسيطة التى لا يمكن أن تخفى على أحد ·· تلك الحقيقة التى تقــول ان الانجليـــز لم يستطيعوا احتلال مصر الا بالتآمر مع الخديوى توفيق ــ رأس الدولة فى ذلك الوقت ــ ضد الشعب المصرى ··

توفيق فتح الباب على مصراعيه وقال للقوات الانجليزية : تفضلى على الرحب والســعة ، احمى عرشى ، واحمى ثروتى وممتلكاتى وأسرتى من الشعب المصرى ، أكن عبدك المخلص الأمين القائم على طاعتك ، المستعد فى أية لحظة للقيام بكل ما تشائين ·· أمامكم مصر ·· احتلوها واستعمروها وافعلوا فيها ما شئتم ·· فقط دعونى أكن خديويا ، ودعوا أولادى من بعدى يكونوا ملوكا ··

كنا قد نسينا تلك الحقيقة البسيطة ، فقد ظل الشعب سنوات كثيرة يعتبر ان فاروق ملكه الدستورى وان له كل الحقوق المخولة وغير المخولة للملوك وليس عليه واجب واحد ، مع أن فاروق فى الحقيقة لم يكن سوى ابن فؤاد ، وفؤاد لم يكن سوى أخ توفيق الذى فتح البلاد على مصاريعها للمحتلين ··

كان فاروق اذن ، ملك وضعه الانجليز ــ كما وضعوا جده ــ

على عرش مصر فى مقابل انيسهل لهم مهمتهم ، أى فى مقابل ان يضعوا هم أقدامهم على أرض مصر ، يحتل هو العرش فى مقابل أن يحتلـوا هم البلد ، ويحتلوا هم البلد فى مقـــابل أن يحتل هو العرش ..

ولأن الاوضاع كانت قد تغيرت منذ أيام توفيق ولم يعد الملوك أو الخديويون يحكمون الشعب حكما مباشرا ، فقد كان لا بد من التمشى مع الزمن ، ومتابعة آخر المودات الملكية ، ولهذا كان لا بد من دستور ما يجعل من الحكم الملكى حكما دستوريا ، ويجعـل من الملك (الركيزة الأولى للاحتلال الإنبريطانى) أعلى ســلطة فى الدولة ، ويجعل من سلطته سلطة الهية مطلقة لا يستطيع كائن من كان أن يعارضها ..

ولكى يتخذ هذا الدستور شكلا مقبولا من الشعب كان لا بد من وزارة ورئيس وزارة ، ومجلس نواب ومجلس شيوخ ..

أجل ، لكى يحكم الملك باسم المحور الملكى الاستعمارى كان لا بد له من وزارة ، ولكى تحكم الوزارة كان لا بد لها من برلمان ، ولكى يوجد البرلمان كان لا بد له من قيام أحزاب ..

تجربة مع الاحـــزاب

والاحزاب لا بد ان تكون شعبية ، اذ هى مركز إتصال هذا الجهاز الملكى بالشعب ، أى هى الارض التى يقف عليها هذا الجهاز الملكى المتصل من قمة رأسه بالمستعمر المحتل اتصالا مباشرا ..

ونحن لا نقول ان الاحزاب كانت أحزابا استعمارية أو تعمـل لمصلحة الانجليز ، نحن لا نحاول ان نتهم ، ولا نحاول أن نحاكم ، وانما نحن نحاول فقط أن نضع النقـــاط فوق الحروف كمـــا يقولون .. !

فليس معنى هذا ان الاحزاب ــ حتى ولو كانت مخلصة شريفة مائة في المائة ــ لم تكن مشتركة في هذا النظام الملكي آشتراكا فعليا ..

وليس معنى إن آلاف المواطنين المخلصين الشرفاء الذين انضموا لهذه الاحزاب لم يكونوا فعلا مواطنين مخلصين وشرفاء ..

ولكن .. لن ينفى هذا أبدا ان الاحزاب كانت هى الارض التى يقف عليها ذلك النظام الملكى المتكامل الخاضع خضوعا مباشرا لارادة المستعمر ..

ونحن لا ننفى هنا كل الاعمال الطيبة التى قد تكون بعض هذه الاحزاب قد قامت بها ، **ولكن الاحزاب كانت جزءا متمما وأساسيا فى تكوين الجهاز الملكى الذى كانت تحكم به مصر لمصلحة الاستعمار ..** وممكن أن يكون الواحد منا انسانا شريفا ومخلصا ولكنه يخدم بحركته وكفاحه نظاما خبيثا شريرا ..

اننا هنا نتكلم عن النظام كله ، عن النظام كما أراده الاستعمار أن يكون ، عن النظام الذى كان ، والذى تمكن الاستعمار بواسطته من أن يحكم مصر أكثر من سبعين عاما وان يخمد بواسطته ثورات ١٩ و ٣٦ و ٤٦ و ٥١ ..

ذلك أن الاستعمار كان يملك فى يده صمام الأمن دائما ، كلما غلت مراجل الشعب بالثورة ضغط الاستعمار على زر فتحرك الملك ، وضغط الملك على زر فقدم رئيس الوزراء المكروه من الشعب استقالته ، ويضغط الملك على زر آخر فينحل البرلمان ، وعلى ثالث فتجرى الانتخابات ، وعلى رابع فيجىء رئيس وزراء آخر بوعود أخرى وحزب آخر وبرلمان آخر إلى الحكم ، وتتغير الوجوه ، ويتوقف المرجل عن الغليان برهة ليرى ما سوف يكون .. !

والى أن يدرك الشعب انخدعة ففى المجال متسع لاراحة الجواد المقال ، واستنفاد طاقة الجواد المربوط فى عربة الحكم ، حتى اذا ما بدأ المرجل يغلى ، ضغط الملك على أزراره وحدثت اقالات وإستقالات وانتخابات وجاءت الى الحكم وجوه أخرى بوعود أخرى وبرلمانات أخرى ! ..

وهكذا دواليك ..!

ضد الانجليز دائما

وكانت الانتفاضات الشعبية التى قامت فى مصر منذ أن أحتلنا الانجليز توجه ضد الانجليز دائما باعتبارهم العدو الرئيسى الواضح ..

كان الشعب يندفع للثورة على الانجليز فتضربه الحكومات (المصرية) القائمة، الجنود المصريون هم الذين كانوا يضربون الشعب المصرى لانه يثور على الانجليز !!..

ويصبح الشعب حينئذ محصورا بين الانجليز من أمام و (المصريين) الحاكمين من الخلف .. ونحن لا نبالغ ، فالذى يذكر حادثة كوبرى عباس ، لا بد أن يذكر أن بعض شباب مصر قطعت أجسادهم ضربا وتقتيلا وهم محصورون على كوبرى عباس بين فيتز باتريك الانجليزى من ناحية الروضة ، وحكمدار البوليس المصرى من ناحية الجيزة !!.

كان الشعب المتحمس المخلص يهب للثورة على الانجليز ويشتبك معهم غير ملق بالا الى الطابور الخامس المتنكر فى زى ملك ، والمتنكر فى زى وزير وعلى صورة احزاب والواقف خلف ظهره ليطعنه فى اللحظة الحرجة ..

٣ ثورات فاشلة ناجحة

ولهذا فشلت ثورة ٣٦ ، وفشلت ثورة ٤٦ ، وفشلت ثورة ٥١ ٠٠

والواقع أننا نقول أن ثورات ٣٦ و ٤٦ و ٥١ فشلت ، ولكننا نقول انها فشلت مجازاً ، فالثورة اذا قامت لا بد أن تنجح ، ان فشلها فى ذاته يعد نجاحا ، لان الدروس التى يستخلصها الشعب منها هى نفسها العوامل التى تكتب النجاح لما يتلوها من ثورات ٠٠

وعناصر الفشل فى أية ثورة ماضية هى نفسها عناصر النجاح فى أية ثورة قادمة ٠٠ وتلك الثورات التى فشلت رسبت فى ضمير الشعب المصرى حقيقة كان قد بدأ يحسها ويدرك كنهها من تلك الضربات الخلفية ٠٠

كان قد بدأ يحس (وخاصة بعد ٥١) أن شيئا ما ليس على ما يرام فى الوضع الداخلى ٠٠
ان هناك خطأ مشتركا : ما الذى سبب فشل انتفاضات الشعب فى ٣٦ و ٤٦ و ٥١ ؟

ان شيئا ما يضربه من الخلف كلما ثار ٠٠

وأصبح من المتحتم عليه أن يؤمن ظهره فى أية ثورة مقبلة اذا أراد أن يضمن لها النجاح ٠٠

ان تلك الحقيقة التى كانت قد بدأت تترسب فى ضمير الشعب كانت صحيحة وخطيرة فى الوقت نفسه ، **فمعناها أن النظام الملكى بكل أجهزته ، النظام الذى يمثل الاقطاع والسيطرة والاستبداد والاحتكار ، هذا النظام هو الذى يضربه من الخلف ٠٠**

ولتأمين ظهره فى أية ثورة مقبلة ، كان على الشعب أن يسقط

هذا النظام ، وان ينظف الدار من الطابور الخامس المتنكر ، لكى يستطيع مواجهة أعدائه المستعمرين ..

أو بمعنى آخر كان لا بد أن يتخلى الشعب عن أعدائه المتنكرين القائمين بين ظهرانيه ليستطيع مواجهة أعدائه السافرين المعسكرين على مقربة منه ..

المهمة اذن عسيرة ، بل تكاد تكون مستحيلة ..!!

فالشعب فى استطاعته أن يحارب الانجليز فى القنال حرب عصابات ، وفى استطاعته ان يحشد المظاهرات فى القاهرة ..

أما أن يقتلع النظام الملكى ، فتلك مسألة أخرى ..

الثورة الجماهيرية المنظمة

فلماذا هى مسألة أخرى ؟.

الثورة لا يقوم بها أفراد ، ولكن تقوم بها تكتلات شعبية وتنظيمات ..

واذا كانت الثورة ضد الملك ، أى ضد الحكومة القائمة ، فالمسألة أخطر ، لأن النظام الملكى تحت يده سلطات الدولة كلها ، وفى استطاعته أن يفطن الى أية بادرة قد تبدر ويجتثها قبل ولادتها ..

كل فرد فى الدولة اذن كان يجد نفسه وحيدا أمام نظام كامل متكامل فى استطاعته أن يبطش به قبل أن يرتد اليه طرفه ..

ولكن الشعب المصرى فى تلك الفترة لم يكن مجرد أفراد ، كانت هناك فعلا تنظيمات تضم كتلا شعبية ، وبمعنى آخر كانت هناك أحزاب ..

ولكن هل تصلح تلك الاحزاب ؟.. دعونا نر ..

ان فى استطاعة رئيس الحزب أو رئيس مجلس ادارته ان يخطب

ضد الانجليز ويندد بهم ، وفى استطاعته حقيقة أن يفعل هـذا ، وليس فى كل هذا ما يغضب الانجليز فى شىء فهم باعترافهم كانوا يرون أن مقامهم فى مصر مؤقت، وأن مصيرهم الى جلاء ، وأن وضعهم فعلا غير قانونى ، بل كادوا يقولون بأنفسهم أنهم مستعمرون .

أما المستحيل فهو أن يقود حزب من الاحزاب جماهيره ، وجماهير الشعب المصرى عامة ، فى ثورة ضد الملك ، ذلك لان تلك الاحزاب كانت جزءا من الجهاز الملكى ، نشأت فى ظله ، وتربت على طرقه ودستوره ، وزاولت الحكم مرارا باسمه ، واشتركت معه مرارا فى ضرب الشعب من الخلف ..

كانت تلك الاحزاب قد أصبحت جزءا لا يتجزأ من النظام الملكى ، تدين له بالولاء ، ولا تجسر وهى التى تربت على موائده أن ترفع رأسها لتقول لولى نعمتها :

غادر بلادنا ... أنت خائن ..

وحتى لو كانت حدثت المعجزة ، وجاء رئيس لهذا الحزب أو ذاك وقرر ضرب النظام الملكى ، فانه لم يكن ليستطيع ..

فأحزاب تلك الايام كانت أحـــزاب قامت لتحكم ، ولم تقـــم لتثور ..

وجميع أجهزتها وتنظيماتها أجهـــــزة لا تصلح الا للدعاية الانتخابية أو تدبير مظاهرة مكونة من بضع فتوات لاستقبال رئيس وزراء وهو ذاهب الى المصيف أو عائد منه ..

احزاب اذن لم تكن تصلح لقيادة ثورة ضد ملك البلاد (الشرعى) الذى فى استطاعته تحريك القوات البريطانية والجيش والبوليس والبوليس السياسى وكل القوى الرجعية فى البلاد لحمايته ..

مستحيلان

بالاختصار كان هناك مستحيلان :

فمستحيل أن نطرد المستعمر طالما هناك جهاز ملكى متكامل يضربنا فى ظهورنا كلما حاولنا طرده ..

ومستحيل أن نقضى على هذا الجهاز الملكى بواسطة ثورة شعبية يقودها حزب من أحزاب ذلك الزمان ..

ومعنى هذا ببساطة أن ظروف شعبنا وامكانياته والطريقة التى يفرض عليه الحكم بها وخبرته فى المقاومة كانت تدفعه الى سلوك طريق وحيد ليس له من طريق آخر سواء للثورة على الاستعمار ومن ثم للتحرر ..

فلم يكن هناك من سبيل للشعب كى يتمكن من طرد المستعمر الا أن يهيأ له تنظيم حزبى أو غير حزبى ، تنظيم ثورى يجهز فى سرية تامة لثورة ضد النظام الملكى أولا ثم قوات الاستعمار ثانيا لانه أصبح من الواضح أن أية محاولة لمس النظام الملكى كان لا بد أن تهب القوات البريطانية لسحقها حتى تؤمن بقاءها ومصالحها كما هبت لنجدة توفيق من قبل ..

وهذا التنظيم طبعا لا بد أن يجهز لثورة مسلحة تواجه النظام والاستعمار المسلحين ، بمعنى أنه لا بد من الحصول على سلاح وتوزيعه على قوات الثورة والتدريب عليه وانجاز هذا كله فى سرية تامة ودون أن تفطن الحكومة الملكية وعيونها الى ما يدبر لها حتى لا تبطش بالثورة فى مهدها ..

وبديهى أنه كان من المستحيل الاحتفاظ بسرية الثورة الشعبية الى حد أن تخفى على الحكومة ، وكان مستحيلا أيضا أن يوجد تنظيم شعبى ثورى كهذا ..

يعنى ببساطة ، كان مستحيلا تماما أن تقـــوم ثورة شعبية مسلحة ضد المحور الملكى الاستعمارى ..

منطقيا ، كان مستحيلا هذا كما رأينا ..

وعمليا ، كان الامر يبدو مستحيلا أيضا ..

ولهذا كان من الممكن ألا يقدر لنا أن نظفر بالحرية فى جيلنا هذا وربما لاجيال كثيرة مقبلة ..

... الا اذا حدثت المعجزة ..

كيف حدثت المعجزة ؟

ولم نكن طبعا فى عصر المعجزات التى تهبط من السماء فذلك العصر كان قد انقضى ..

ولكن يبدو أننا فى عصر معجزات أخرى ..

معجزات تنبع من الارض . وتقوم بها الشعوب .. الشعوب التى اذا قررت شيئا فلا بد أن تحققه لان مشيئتها من مشيئة الله . واذا قررت أن تحققه حققته ولو اقتضاها الامر القيام بمعجزة ..

وشعبنا أيضا كانت مشيئته من مشيئة الله ..

فقد حقق المعجزة ..

والثورة التى كانت مستحيلة الوقوع حدثت ، والشعب تحرر ..

واذا كانت كلمة معجزة لا تعجب البعض . فدعونا نرى ما حدث . ودعونا نلقى عليه نظرة عسانا نقتنع ..

الوضع فى ٢٢ يوليو

فى يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ كان الشعب المصرى يقف ساخطا ثائرا ممزق الوحدة ، متناحر القوى ، لا يدرى ماذا يفعل تجاه نظام هائل يكتم أنفاسه ، ملك وحكومة وأحزاب وجيش وبوليس وقوات استعمار ضخمة تؤيد كل هذا وتدعمه وتيسر له امتصاص قوى الشعب وثروته وبعثرتها على موائد القمار فى نيس ومونت كارلو وكابرى . نظام ضخم يواجه الشعب ولا يمتص قواه فقط ، ولكنه يعمل ضده وضد مصالحه ويتعاون مع كافة القوى الاستعمارية فى العالم ويؤيدها ويسير فى فلكها ويشترك معها فى سحق مقاومة الشعوب الاخرى التى تريد الحياة وتبغى التحرر ..

كان هذا هو الوضع فى ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ ••

وفى ٢٤ يونيو ١٩٥٦

وفى يوم ٢٤ يونيو سنة ١٩٥٦ أى بعد ثلاث سنوات وعشرة أشهر وثمانية أيام فقط ، كان المستحيل قد تم ••

فرأس الدولة الملكية فاروق أصبح يحيا حياة الصعاليك فى أوروبا ••

وقوات الاحتلال البريطانية ذهبت نهائيا عن مصر •• وقامت على أرضها أول جمهورية مصرية دما ولحما لا تخضع لاحد ولا تعمل لصالح أحد غير أبنائها ••

وأصبح اقتصاد مصر يبنى من أجل مصر •• والاقطاع الفاسد الخبيث المتغلغل قد اجتث ••

ولم تعد مصر مجرد مستعمرة استقلت ، ولكنها أصبحت أيضا منارة الحرية للبلاد العربية وشعوب الشرق الاوسط ، ومصدر ثورة عارمة ضد الاستعمار فى المنطقة وفى العالم بأسره ••

بل أصبحت مصر ، تلك الدولة الصغيرة التى كانت بالامس مستعمرة من الدرجة الثالثة ، أصبحت احدى القوى الرئيسية فى الصراع من أجل اقرار الحرية والسلام فى العالم واحدى زعيمات آسيا وأفريقيا ، وقوة كبرى من قوى الحياد الايجابى والتعايش السلمى ••

ألا نسمى هذا معجزة ••؟

فلنر كيف استطاع شعبنا أن يحقق هذه المعجزة ••

كيف حقق الشعب المعجزة ؟

الحوادث معروفة ، فكل الدنيا تعلم كل شيء عن تنظيم الضباط الاحرار وقيام الثورة وخلع الملك ومعاهدة الجلاء .. الخ ..

ولكن غير المعروف هو لماذا حدثت هذه الاحداث بالذات ، ولماذا تمت على تلك الصورة دون غيرها ، ولماذا لم تتم على صور أخرى ..؟!

الواقع أنها تمت على هذه الصورة لانها كان لا يمكن ألا أن تتم على هذه الصورة دون سواها ، وذلك هو ما نعنيه بقولنا أن الطريق الذى اختطته ثورة الشعب لنفسها كان هو الطريق الوحيد الذى كان لا بد أن تخطه ..

كلنا نعلم ان الملك والرجعية والاستعمار كانوا فى ناحيـــة يكونون جبهة متماسكة متكاتفة متعاونة ، وكان شعبنا فى الناحية الاخرى ..

فكيف كان ممكنا للشعب أن يهزم كل هذه القوى المتكاتفـــة ضـــده ؟..

اننا حين نحاول الاجابة على هذا السؤال انما نحاول فى الواقع أن نفسر الثورة التفســـير الطبيعى البســـيط الذى يربط كل ما وقع من أحداث بخيط واحد هو خيـــط الحقيقة .. الحقيقـــة البسيطة التى ربما غطت عليها الاحداث بضخامتها ، وما أسهل أن تضيع الحقيقة ..!!

كان الاستعمار وعملاؤه يهزمون ثوراتنا المتلاحقة لانهم كانوا يفلحون فى تفكيك قوانا وجبهتنا ..

ولكى نهزمهم كان علينا نحن الآخـــرون أن نفتت قواهـــم وجبهتهم ..

حكمة المقاومة الشـــعبية

كان علينا أن نفكك جبهة أعدائنا ونضربهم الواحد بعد الآخر ، اذ كان لا يمكن ضرب الاستعمار الا بعد خلع الملك والنظام الملكى من جذوره ، وكان لا يمكن خلع الملك الا اذا عزل عن الاستعمار من ناحية وعن أجهزة حكمه من ناحية أخرى ..

ولكى يتم عزل الملك عن أجهزة الحكم هذه ، كان لا بد أن يتحرك أضخم هذه الاجهزة وهو الجيش ، ضده ، وكان لا بد أن يأتى اليوم الذى يوجد فيه في قلب ذلك الجيش تنظيم كتنظيم الضباط الاحرار يعمل على تحويل أكبر جهاز يحمى الملك ، الى أكبر جهاز يوجه اليه ويقف الى جانب الشعب مصدر القوة وصاحب السلطة العليا ..

تلك هى حكمة المقاومة الشعبية البسيطة التى رأت ببصيرتها الغريزية النفاذة أن تبلور قضية الشعب ومصلحته فى صدر أحد أبناء هذا الشعب من الضباط وهو جمال عبد الناصر ..

لقد ظلت ثورتنا تبحث عن منفذ ، وتجرب وتخطىء ، وتنتكس مرة لتقوم أخرى ، حتى دفعتها الخبرة الى أن تتسلل داخل قلعة الملك لتستولى عليها من الداخل ..

ان عوامل القوة فى أى نظام يمكن أن تكون فى وقت من الاوقات هى نفسها عوامل الضعف .. ولان الجيش الذى يحمى الملك كان لا بد أن يكون مكونا من عساكر وضباط من أبناء الشعب المصرى ، فالامر كان لا بد أن ينتهى حتما الى أن يفطن هؤلاء الابناء البررة الى أنهم بحمايتهم للنظام الملكى يشلون ثورة شعبهم ، وان يفطن هؤلاء الابناء البررة الى أنهم يستطيعون اذا ما أرادوا أن يكونوا هم طليعة الزحف المقدس ..

ولهذا كان من السذاجة أن ينفصل جمال عبد الناصر بالجزء الذى

يقدر على اقتطاعه من الجيش ، ويحارب النظام الملكي على صورة حرب أهلية . فقد جربنا مرة هذه الحرب ، وفشلت التجربة ...

وكان لا بد ان تأخذ ثورة الشعب المصرى على مستعمريه والمستبدين منه شكل الانقلاب ، اذ هو الشكل الحتمى للتمكن من الوصول الى رأس الرمح وفصلها ، فقد كان أعداؤنا أقوياء وكانت جبهتهم للاسف شديدة التماسك ، وكانوا أيضا شديدى الدهاء ..

استعمال الدهاء

لذلك كان لا بد من استعمال دهاء لا قبل لهم به ، دهاء لم يعهدوه .. دهاء الشعب الذى ظل يقاوم أعداءه آلاف السنين ولم تهن مقاومته .. دهاء الصعايدة والبحاروة .. دهاء دنشواى ودهاء صيادى السمك فى بحيرة المنزلة ...

لفصل الرأس آذن كان لا بد من استعمال طريقة لا تثير القوى الاستعمارية ، ولا تمكنها من الدفاع عنها ، ولا تحرك شكوكها ومخاوفها ..

كان لا بد من استعمال الحذق الشديد ، الحذق فى التدبير ، والحذق فى التنفيذ ، والحذق حتى فى صياغة البلاغ الذى يذاع على الشعب صبيحة الانقلاب ..

كان لا بد من تخدير القوى الاستعمارية سياسية وعسكرية ، وكان لا بد من عصب عينيها لكى تتفتت الجبهة ويسقط الواحد منهم فلا يشعر به الآخر ..

وعلى هذا فليس غريبا أن يعلن بلاغ الثورة رقم (١) أن كل ما يريده الجيش هو تطهير نفسه من المرتشين والانتهازيين ...!!

ولو لم يحظ هذا البلاغ بذلك التأييد الشعبى الساحق الذى قوبل به ، والذى لم يجرؤ الاستعمار على معارضته معارضة سافرة

أو باطنة لتعقدت مهمة خلع الملك بعد ذلك ، ولربما وقفت القوات البريطانية تدافع عن قصر القبة وسراى عابدين ٠٠!!

وعلى هذا اضطر الاستعمار أن يوافق مرغما على طرد فاروق ، تسليما بالامر الواقع ، وخوفا من مواجهة الشعب الثائر ٠٠

وليكون أيضا قد أسدى للقائمين بالانقلاب معروفا لا ينسى ، ربما مكن له بعد ذلك ان يضعهم فى جيبه ويكون هو الكاسب ، اذ يكون قد استبدل ملكا مكروها فاسدا يحكم مصر من خلاله ، بحكومة قوية لها هذا التأييد الشعبى الساحق ، يحكم مصر من خلالهـــا أيضا ٠٠!!

أفاق الاستعمار سنة ١٩٥٦

ولكن الاستعمار أفاق من المخدر سنة ١٩٥٦ ليجد أن القائمين بالانقلاب هم الذين كانوا يضعونه فى جيوبهم ، وليجد نفسه خارج أرض مصر ، وليجد أن الذى أجلاه ليسوا ضباطا طامعين فى الحكم ، ولكنهم طليعة زحف شعبى واسع ، **وان ما حدث فى ســنة ١٩٥٢ لم يكن حركة ولا انقلابا ولا استبدال أسماء بأسماء أو اردية بأردية ، ولكنه كان ثورة حقيقية قضت على وجوده فى مصر وشتتت أعوانه واشياعه ٠٠**

ليس هذا فقط بل أفاق الاستعمار ليجد أن هذه الثورة ليس فى نيتها أن تكتفى بما قامت به ، ولكنها تريد أن تمضى فى رسالتها الى النهاية وتحارب الاستعمار أنى وجد من حولها وتحارب أعوانه واحلافه ، وتصادق من يصادقها وتعادى من يعاديها ، وتضرب بأقصى شدة على يد كل من تحدثه نفسه بعودة الاوضاع القديمة الى ما كانت عليه ٠٠٠

أفاق الاستعمار اذن ليجد أن المعجزة قد تحققت ، وان مصر ،

الدرة الغالية فى تاجه قد فقدها إلى الابد برغم كل جيوشه وقوته وأنصاره وطابوره الخامس ، وتاريخه الحافل الطويل ..

ولهذا كانت غضبة الاستعمار ، حين أفاق ، غضبة كبرى ...

سؤال بسيط

ولن نتابع هنا هذه الغضبة الاستعمارية ، انما نحن فقط سنسأل أنفسنا سؤالا بسيطا ، ومن المهم جدا أن نجيب عليه ...

السؤال هو :

هل كان ممكنا للثورة لكى تحقق لمصر حريتها أن تسلك طريقا غير الذى سلكته ؟؟

دعونا نرى .. فالتاريخ لا يزال قريبا ، والاحداث لا تزال مرتسمة فى أذهان كل منا ، ولا زلنا لم ننس بعد ..

خلع الجيش من قبضة الملك

كان الضباط الاحرار بقيادة جمال عبد الناصر قد حددوا هدفهم كضباط أحرار فى جيش كانت مهمته الاساسية هى الدفاع عن النظام الملكى ، وكان ذلك الهدف هو خلع الجيش من قبضة الملك ، أى انتزاع الخنجر الذى كان يهدد به القوى الشعبية من يده وتركه أعزل من سلاحه أمام الشعب وأحزابه ورجال السياسة فى ذلك الحين ..

كنا نفكر حين ذاك كما يفكر كل وطنى مخلص شريف فى مجاله ، فالطلبة فى مجالهم كانوا يفكرون فى القيام باذكاء حماسة الجماهير بالمظاهرات والاضرابات ..

ونقابات العمال كانت تفكر فى تنسيق جهودها مع جهود بقية الطبقات ..

ونحن فى مجالنا كضباط عاملين فى الجيش كان تفكيرنا

منصبا على اعادة هذا الجهاز الى الشعب بدلا من أن يكون موجهـا ضد الشعب ، فيزحف الشعب ، وينقض ، ويثور ..

وحدث هذا فعلا ، بل وزيادة في الاطمئنـــان لم نكتف فقط بنزع الجيش من يد الملك ، ولكننا أيضا نزعنـــا الملك من أرض الوطن ..

وجلسنا نرقب ما يحـــدث ..

فلسفة الثورة والاحزاب

والذى حدث معروف وقد ذكره الرئيس جمال بتفاصيله فى كتاب « فلسفة الثورة » ، فقد تجمع علينا رجال الاحزاب القديمة كالذباب لاعتقادهم ان الضباط الاحرار قد أصبحوا مصدر السلطة أو بمعنى أدق ، المصدر الذى يوزع كراسى الحكم ، وكأن جمال عبد الناصر قد خلـــع الملك ليجلس على كرسيه ، وتبقى الســيطرة الملكية الاستعمارية كما هى ..!

من هذا التجمع والتزلف تعلمنا حقيقة مرة ، ان هذه الاحزاب لم تعد تصلح الا لتبــادل الحكم ومكاسبه فى ظل الاوضـــاع الاستعمارية ، وانها لا يمكن أبدا أن تصلح لقيادة شعب كشعبنا فى ثورة ضد الاستعمار ..

كنا نحس بقلوب الملايين من أفراد الشعب تنبض بالســخط على الاستعمار وتغلى بالثورة وتنتظر الاشارة ، وكان رجال الاحزاب لا يفكرون الا فى التنافس على كراسى الحكومة وبدل التشريفات ..

بالاختصار ، كان الشعب مهيئا للثورة ومستعدا لخوضها وبذل التضحيات لكى يصل الى حريته واستقلاله ، ولكن القيــادة كانت تنقصه ..

والغليان الشعبى لا يكفى أبدا لثورة على الاستعمار ..

شرط نجاح الثـورة

فلكى تقوم الثورة وتنجح لا بد من جهاز ثورى يتولى تنظيمها وتنسيقها ووضع خطتها وقيادتها ..

ولم يكن شعبنا فى ذلك الوقت يملك تنظيما كهذا ..

فماذا ــ اذن ــ كان فى استطاعتنا أن نفعل ؟

هل نترك بقايا النظام الملكى كما هو بوزاراته وأحزابه وبرلماناته وتفككه وكل ما فيه من فساد وخيانات وبشاعات يتحكم فى رقاب الشعب المصرى ويحتجز ثورته ويؤخر تحرره وكأن المشكلة كانت هى شخص الملك ، هى فاروق ؟

أو بمعنى آخر ، ها هو رأس النظام قد خلع ، ولكن النظام نفسه باق بكل عقليته الرجعية المستبدة الاقطاعية المتعفنة ..

الملك خلع ، ولكن مصر لا تزال مستعمرة ، والقوات البريطانية لا تزال تحتل أرضها وتدنس كيانها ، فهل نترك هذا كله ونترك الشعب لرجال الاحزاب ليقودوه فى نفس الاتجاه الذى كان سائدا أيام الملك ، ويعود الجيش ــ كما تفضلوا ونصحوا ــ الى ثكناته ؟؟

ألا نكون حينئذ قد خنا نفس القضية التى ثرنا من أجلها ؟

كان لا يمكن أن يحدث شىء من هذا ..

وبذل مجلس قيادة الثورة محاولة أخيرة وطلب من الاحزاب أن تطهر نفسها بنفسها . كنا نعتقد أنها القيادة الطبيعية لشعبنا وأنها ، وان كانت قد ضعفت وتحللت ، الا أن من الممكن تطهيرها واصلاحها كى تقود الشعب قيادة ثورية ..

ولكن ما حدث خيب ظننا وأفقدنا الامل نهائيا فيها • لقد قام كل حزب بفصل هذا العضو من أعضائه أو ذاك لكي يثبت لصاحب الجلالة الجديدة ، (مجلس قيادة الثورة) ، انه نفذ توجيه (جلالته) بكل خضوع وولاء ، ولم يبق الا أن يتفضل ويولى رعاياه المخلصين ثقته ويعهد اليهم بالحكم ••!

ويا ليت فصل الاعضاء كان فصلا حقيقيا ، كان فى الواقع فصلا صوريا فقط لاثبات الخضوع والولاء ظنا منهم أن ذلك سيتيح لبقية الاعضاء الجلوس على مقاعد الحكم ، ويمكن بعد ذلك مجازاة العضو أو الاعضاء المفصولين على تضحيتهم الكبرى خير الجزاء ••!

المهم فقط هو الوصول الى الحكم •••

كانت عملية ، والحق يقال ، مثل العملية التى يلجأ اليها بعض أصحاب البيوت حين يطلون عشش الدجاج بالجير والفرشاة أملا منهم فى اجتذاب الباحثين عن السكن ••!

محاولة الاحزاب الخديعة

ولكن الاحزاب لم تستطع خداعنا أو خداع الشعب بهذا الطلاء الظاهرى المصنوع • لم تستطع أبدا أن تجعل من عشش الدجاج مكانا يصلح لان يقطن فيه الآدميون ••

لقد حز فى نفوسنا أن حزبا منها لم يغير من تركيبه وتنظيمه وبرنامجه تغييرا جذريا يصلح لقيادة الشعب فى بلد تحرر من الملك وفى طريقه للتحرر من الاستعمار ••

وكان واضحا وضوحا لا شك فيه أنها ـ مثلها مثل الملك ـ ان كانت قد صلحت لحكم مصر المستعمرة الخاضعة للملك ودستوره ، فانها لا تصلح أبدا لقيادة مصر الثائرة ، مصر العازمة على طرد الاستعمار وتحرير كل شبر من أراضيها ••

وكانت جريمة كبرى أن نترك الشعب يواجه هذه المحنة، محنة أن يحكم من جديد بأحزاب تطلى وجهها لكل صاحب سلطة باللون الذى يهواه ..

محنة أن نخلع الملك ونترك الشعب يواجه أوضاعا أسوأ وأقسى مما كانت أيام الملك ..

محنة أن تكون ثورة الشعب الكبرى التى رصد لها أعمار أجياله المتلاحقة ، قاب قوسين أو أدنى من التحقيق ، ثم تفشل كسابقتها وتنتكس لاننا فقط سمحنا لانفسنا أن نتراجع ، وسمحنا لانفسنا أن نقف فقط عند حدود مهمتنا كضباط أحرار فى الجيش.

الوضع بعد ٢٣ يوليو مباشرة

وأصبح الوضع هكذا :

بلدنا مستعمر والقوات البريطانية لا تزال تحتله ..

بلدنا مستغل واقتصاده كله فى أيد أجنبيه ..

شعبنا ثائر بلا قيادة ..

والاحزاب الموجودة لا تصلح لقيادته فى معركة تحرره السياسى والاقتصادى والعسكرى ...

فماذا كان يمكن أن يحدث ؟

ما من شك أنه كان يود كل منا أن تكون مهمتنا قد انتهت بسلام عند حدها ، وأن نسلم الزمام الى من فى استطاعته انجاز مهام الثورة الشعبية الباقية .

ولكن لم يكن أحد يستطيع أن يتسلم الزمام ..

وجزء واحد فقط من المهمة هو الذى كان قد أنجز ، وهو خلع الملك ..

وبقى كل شىء فى الدار على قذارته القديمة ..

البحث عن قيـــادة

فى تلك الفترة تلفت شعبنا حوله باحثـــا عن قائد لثورته القادمة على الاستعمار والاوضاع البالية فلم يجد من يوليه ثقتـــه الا نفس من خلعوا له الملك ، وكانوا طليعة الثـــائرين عليه . الاشخاص الذين وان لم تكن للشعب بهم معرفة من قبل ولم يتعد تاريخهم العلنى بضعة شهور ، الا أن شـــعبنا قد رأى بغريزته وبصيرته أنهم قادة ثورته المقبلة على الاســتعمار وانهم أثبتوا فى تلك المدة القصيرة جدارتهم وأحقيتهم بالثقة ..

وفى نفس الوقت تلفتنا نحن الذين دبرنا الانقـــلاب كمقدمة للثورة وخلعنـــا الملك لنبحث عن القيادة الشعبية التى يمكن أن تتســـلم زمام الامور وتمضى على رأس الزحف الشعبى فلم نجد سوى أنفسنا ..

وهكذا حكم التاريخ ، وحكمت أوضاعنا وظروفنـا ، وحكمت ثورتنا والتقت ارادة الشعب بارادة القيادة الجديدة ..

معنى الثـــورة

على هذا تولى مجلس قيادة الثورة الحكم .

وكان لا بد أن يحكم بطريقة مختلفة تماما عن حكومات العهد الغابر ، كان لا بد أن تتسم اجراءاته بطابع ثورى كامل ، لم تعهده حياتنا السياسية من قبـل حتى بدا للبعض ممن كانوا لا يزالون ينظرون الى حكومة الثورة بنفس العين التى كانوا ينظرون بهـا الى ما سبقها من حكومات ، أن الامر غريب وشاذ ..

ولكن مجلس قيادة الثورة لم يكن مجرد حكومة أخرى .. كان مجلس قيادة ثورة .. وكان لا بد أن تهدف اجراءاته الى تنفيذ مهام الثورة الباقية ولهذا كانت اجراءاته حاسمة ..

وكان لا يمكن أن يقوم بتلك الاجراءات الحاسمة الا مجلس ثورة ..

كان لا بد من هدم بقايا النظام الملكى فى الحال وضرب القوى الرجعية وتكتيل الشعب ليقوم بالمهمة التى كان قد نضج للقيام بها ، وعلى هذا أعلنت الجمهورية وألغى دستور ٢٣ وحلت الاحزاب الملكية وأنشئت محاكم الغدر والثورة وصدر قانون الاصلاح الزراعى وحددت الملكية وحسمت التحركات الجانبية للاقطاع والاخوان والرجعية ..

وفى النهاية قال جمال عبد الناصر لبريطانيا : عليك أن تحمل عصاك على كاهلك وترحلى ، والا أرغمناك على الرحيل ..

مرحلة الانتقال

كانت الاجراءات الاولى تمهيدا للمعركة التاريخية بيننا وبين عدونا الحقيقى اللدود وهو الاستعمار ، وكان لا يمكن أن تبدأ الثورة المعركة ما لم يطمئن الشعب وقيادته الى أن ظهره فى حمى وأمان ، وأن المأساة التى عانى منها شعبنا فى كفاحه طويلا لن تتكرر ..

والرئيس جمال عبد الناصر قد سمى مرحلة الثورة هذه : مرحلة الانتقال ..

مرحلة الانتقال معناها مرحلة التغير .. المرحلة التى يتحول فيها الشىء الى شىء آخر ، المرحلة التى يتحول فيها الليل الى نهار ، والماء الى بخار ، والعليل الى سليم ، ومصر المستعمرة المستغلة الى مصر المتحررة المستقلة ..

هى اذن مرحلة الحركة السريعة ..

ان الشعب فى تطوره يظل سادراً فى حركته العادية يتحمل الظلم والعسف عاما وراء عام وهو يكظم ويصبر ، وفجأة ، وحين تبلغ طاقته على التحمل حدها الاقصى ، يتحرك بعنف وسرعة ويضرب ويثور ..

وحركته الاولى العادية لها قوانين ونظم ودستور ..

وحركته المفاجئة السريعة لا بد أن يكون لها هى الاخرى قوانينها ونظمها ودستورها ، ولكن الذى لا شك فيه أنها تختلف تمام الاختلاف عن القوانين والنظم والدساتير التى كانت تتحكم فى حركة الشعب العادية ..

ان ما يصلح فى زمن السلم لا يصلح فى زمن الحرب، وما يصلح فى وقت الكبت لا يصلح أبدا ساعة الثورة ..

الانسان حين يكبت يصبر ، ولكنه حين يثور ينفعل ويضرب ، وقانون الصبر غير قانون الضرب ..

وفى زمن السلم قد تقول لرئيسك لا فيلفت نظرك فقط ولكن فى زمن الحرب قد تقول لا فيطلق عليك الرصاص فى الحال ..

المشكلة اذن ان ثورة الشعب ومعركة تحرره الكبرى التى انتظرناها طويلا كانت قد بدأت ..

جمال أصلح قائد للمعركة

ولم يجد الشعب أصلح من جمال عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة ليقود المعركة ..

ولم يجد جمال عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة قيادة تتولى أمر المعركة أصلح منه ..

الشعب اذن ارتضى القيادة ، والقيادة ارتضت المهمة ، ولم يبق الا خوض المعركة ..

ونحن نستعمل كلمة المعركة كثيرا ، ولكننا أحيانا قد نغفل حقيقة هذه الكلمة .. فسواء أكانت المعركة معركة استقلال أو معركة دفاع عن النفس فان معناها بكل بساطة التضحية ..

معركة الاستقلال هي أولا وأخيرا معركة تضحية ومعنى أن ثورة شعب ما قد نضجت ، هي انه أصبح على استعداد لخوض المعركة ، أي على استعداد للتضحية بماله أحيانا وبنفسه اذا اقتضى الامر ..

والتضحية ليست قبولا ولكنها بذل .. كل فرد من الافراد يبذل من ذات نفسه ليتحرر الشعب .. كل فرد يتنازل باختياره عن بعض متعه وبعض حقوقه وبعض نفسه لينال فى النهاية كل متعه وكل حقوقه وكل نفسه ..

وما من ثورة قامت ، وما من معركة نشبت الا وحدث هذا ..

كانت فترة الانتقال ، فترة المعركة ، هى فترة التضحيات .. فكما يتطلب استمرار الغليان مزيدا من الحرارة ، فان استمرار القتال يتطلب مزيداً من الشهداء ، والحرارة تستمد من الوقود ، والطاقة تستمد من بذل المقاتل ، فالمعركة اذن تستمد وجودها من بذل التضحيات ..

كان لا يمكن أن نتحرر الا اذا ضحينا . وقد ضحينا ، شعبا وقيادة وأفرادا وعائلات ...

تلك هى قوانين فترة الانتقال ، وقوانين الثورة فى كل مكان وتحت كل قيادة وفى أى شعب وفى كل عصر وزمان ..

ولو كان قائد هذه الثورة شخصا آخر غير جمال عبد الناصر ،

ولو كان مجلس قيادة الثورة مكونا من مدنيين أو حتى من سياسيين سابقين ، أو حتى من أعضاء مجلس آدارة حزب من الاحزاب ، لما حدث غير ما حدث ، ولتطلبت الثورة نفس البذل ، ونفس التضحية ونفس التنازلات عن بعض الحق لكسب الحق كله ..

والاجراءات التى اتخذها مجلس قيادة الثورة والتى كان الهدف منها أن نضحى بالقليل لنظفر بالكثير ، كانت ضرورة حتمية من ضرورات ثورتنا ، ولسنا فى مجال تعداد التضحيات التى قدمها شعبنا ليظفر باستقلاله والتى صاحبت فترة الانتقال ، ولكننا سوف نناقش كلمة يستعملها الناس كثيرا ويأخذونها على أنها خطيئة من خطايا فترة الانتقال .

« كلمة الديمقراطية » ..

معنى كلمة الديمقراطية

قالوا ان مجلس قيادة الثورة قد ألغى الديمقراطيه وكان يحكم حكما ديكتاتوريا استبداديا ..

أما ان مجلس قيادة الثورة قد ألغى الديمقراطية فهذا صحيح، بل ونحن نفخر بصحته ..

أجل .. لقد ألغينا الديمقراطية الزائفة ، الديمقراطية التى ضحكوا بها علينا ، والتى كانت تمكنهم من أن يستعمروا بلادنا ويستغلوها بطريقة شرعية لا غبار عليها ، تحت اسم الحرية وباسم الشعب والدستور ، وباسم المثل الديمقراطية العليا ..!

كانوا يقولون ان مصر أيام الملك كانت تحكم حكما ديمقراطيا أى أن الشعب فيها كان يختار حكومته بنفســــه ، وكان يحكم نفسه بنفسه ..

وكان واضحا لكل ذى عينين أن تلك فرية كبرى ..

فكيف كان يستطيع أن يحكم نفسه بنفسه والاستعمار يحتل أرضه ، وله فى الوطن السلطة العليا ..؟

وكيف يمكن أن تسود الديمقراطيــــة فى بلد تحتله قوات أجنبية ..؟؟

لم تكن هناك ديمقراطية ، كان هناك ثوبا ديمقراطيا مهلهـــلا يرتديه النظام الملكى ليخدع ويضلل ويخفى حقيقته وعورته البشعة عن العيان . وكل ما فعله مجلس قيادة الثورة هو أن مزق هـــذا الثوب وألغى الديمقراطية بمعناها الملكى الاستعمارى ..

الحرية الزائفة والحرية الحقيقية

ألغى الحرية الزائفة فى بلد مستعبد ..

ألغى الحرية التى كان يتمتع بها الاستعمار والملك وكانت وقفا على أعوانهما ، الحرية التى ذاق منهـــــا الشعب الأمرين والتى استعملوها لخنقنا تماما مثلما ألغى الدستور الذى كانوا يستعملونه للتحكم فى رقابنا ..

ولم يفعل مجلس قيادة الثورة هذا الا لكى تســـــود الحرية الحقيقية ، حرية الشعب وأفراده . فكل ميزة كان يتمتع بهـــا الاستعمار والملكية كان من المحتم انتزاعها من أيديهم ومنحها لاصحاب البلد الحقيقيين ..

والحرية كانت حرية الملك وأعوانه وأتباعه وأسياده فكان لا بد من انتزاعها لتصبح حرية الشعب ..

ان شعبا ــ أى شعب ــ لا يمكن أن يكون حرا ووطنه مستعمر ومحتل ، فلا حرية فى ظل الاستعمار ..

ولهذا كان لا بد أن نتحرر كشعب أولا لنحظى بعد هذا بالحرية كأفراد ..

وكان لا بد من كسر القيد الذى يخنق حريتنا جميعا لكى يزاول كل منا حريته كفرد ..

وببساطة كان لا بد أن يتخلص الشعب من الغـــرباء الذين **يحكمونه لكى يحكم الشعب نفسه بنفسه ولكى تسود الديمقراطية الحقيقية ..**

تلك هي فلسفة مرحلة الانتقال ، تلك الفترة التى نمزق فيها الديمقراطية الزائفة لنستمتع بالديمقراطية الحقة ..

المعالم الرئيسية لثورتنا

قلنا ان الضرورة التاريخية حتمت أن تقوم الثورة المصرية على الاستعمار بالطريقة التى قامت بهـــا ، وتلك الضرورة التاريخية نفسها هى التى حتمت أن تتخذ الثورة كل ما اتخذته من اجراءات .. **وبمعنى أوضح ، ان الاجراءات التى اتخذها مجلس قيادة الثورة فى مرحلة الانتقال ، بصوابها وخطئها ، وصلاحيتها وعدم صلاحيتها هى جزء لا يتجزأ من ثورتنا ، وهى جزء لا يتجزأ من انتصارنا فى ثورتنا حين انتصرنا ، اذ هى نفسهـــا الاجراءات التى أدت الى انتصار الثورة ..**

الانتصار اذن تم بناء على هذه الاجراءات ، أى اننـــا انتصرنا لاننا سرنا فى هذا الطريق ، وكان ممكنـــا ألا ننتصر لو سرنا فى سواه ، فالطريق الذى سارت فيه الثورة المصرية اذن هو فى حد ذاته انتصار ، لانه الطريق الذى أدى الى الانتصار ..

وما دمنا قد انتصرنا ، وما دمنا قد قطعنا مرحلة ضـــخمة من مراحل هذا الطريق فنحن فى موقف يسمح لنا أن نلقى نظرة خاطفة على المرحلة التاريخية التى قطعناها لنلخص المعالم الرئيسية لثورتنا على الاستعمار ، الثورة كما حدثت حقيقة ، وكما انتصرت ، لا كما كان يجب أن تحدث .. الثورة الواقعية وليست الثورة الخيالية التى كان يحلم بها البعض ..

نلخص هذه المعالم الرئيسية ونقول :

١ ـ الشعب المصرى فى ثوراته السابقة كان قد تعلم انه لن ينجح فى طرد الاستعمار الا اذا أطاح بالجهاز الملكى الذى يفرض وجوده فى الداخل ·

٢ ـ للاطاحة بهذا الجهاز الملكى كان لابد من سلوك طريق غير مباشر للوصول الى هذا الهدف وهو أن يقوم داخل الجيش « الجهاز الرئيسى الذى يحمى الملك » تنظيم يقلب الجيش ضد الملك ليتيح للشعب الاشتباك السافر مع أعدائه ·

٣ ـ حين تحطم النظام الذى كان يحمى الاستعمار فى الداخل لم يكن هناك حزب أو هيئة فى امكانها قيادة الشعب فى معركته ضد الاستعمار فحتم الوضع أن تكون قيادة الانقلاب الذى حدث ضد الملك هى نفسها قيادة الثورة الشعبية ·

٤ ـ وأيضا لم يكن هناك ثمة حزب أو هيئة فى امكانها القيام بالحكم أثناء المعركة ضد الاستعمار فحتم الوضع أن تكون قيادة الانقلاب هى قيادة الثورة ، هى الحكومة ·

٥ ـ وعلامة رئيسية أخرى من علامات ثورتنا انها تمت بواسطة حكومة قامت فى بلد مستعمر وقادت الشعب ضد الاستعمار لاول مرة فى التاريخ · ·

٦ ـ وعلامة رئيسية أخرى لهذه الثورة أن تنظيمها كان على النحو الآتى : حكومة الثورة تقود الجماهير الشعبية الواسعة بلا اى تنظيم حزبى قائم ليصل بين قيادة الثورة وقاعدتها · ·

علامة جد خطيرة

وعند هذه العلامة الاخيرة لا بد من أن نتوقف ، فهي وان بدت بسيطة سهلة الادراك والهضم ، الا أنهـــا جد خطيرة في الوقت نفسه ..

فالتاريخ يعلمنا أن الثورة ضد الاستعمار أو ضد أي نظام تحدث باستمرار بقيادة حزب أو عدة أحزاب سياسية متكاتفة ..

أما في مصر فلم يحدث هذا . كان هناك مجلس قيادة الثورة الذي يقود ويحكم ، وكانت هناك الجماهير الشـــعبية الواسعة ، ولم يكن هناك تنظيم حزبي قائم يصل بين قيادة الثور وقاعدتها ، وتلك هي الاخرى معجزة ، فلأول مرة في تاريخ أي بلد من بلاد العالم يحدث شيء كهذا .

وليس معنى اننا نقول ان هذا يحدث لاول مرة انه غير ممكن الحدوث ، لسبب بسيط هو انه حدث فعلا ..!

ومن أجل هذا قلنا في البدء أن الطريق الذي يسلكه كل شعب لنيل حريته يكاد يختلف تماما عن الطريق الذي يسلكه غيره من الشعوب ..

لكل بلد ظروفه وأوضاعه ، والثورة تحدث طبقا لهذه الاوضاع وتلك الظروف ..

والطريقة التي تحدث بها هذه الثورة أو تلك تصـــبح جزءا لا يتجزأ من تراث الشعب ..

وأصلح طريق لتحقيق الحرية هو دائما الطريق الذي يحقق هذه الحرية فعلا ، وقد حققت تلك الطريقة ثورة الشعب المصري على الاستعمار ، وحققت له الاستقلال والتحرر ، ولهذا فهو طريق

حريتنا ، الطريق الذى نفخر اننا سلكناه ، ولا بد أن نفخر اننا نجحنا فى سلوكه ، واننا بلغنا به الهدف ..

ماذا فى هذا ؟

ثورتنا قام بها ضباط ، وماذا فى هذا ..؟ المهم انها قامت ..

ثورتنا ألغت دستور ٢٣ فى فترة الانتقال وألغت الاحزاب وحددت الملكية وخدعت الاستعمار ، وماذا فى هذا أيضا ..؟ المهم انها من خلال هذا الطريق قد انتصرت ..

ثورتنا قست على البعض منا واعتقلت البعض وسجنت البعض .. وماذا فى هذا أيضا ..؟ المهم انها حررت أرضنا من القوات البريطانية ، وحررت اقتصادنا من الاصابع الاجنبية الخانقة ، وحررت شعبنا من ذل الملاك .. المهم انها صمدت فى معركة العدوان ، ودافعت عن السلام ، وأوجدت لبلدنا كيانها .. أوجدتنا ..

أجل .. بطريقتنا هذه ، بنجاحنا ، بصبرنا ، بأخطائنا ، بدهائنا وببساطتنا ، بمكرنا وسذاجتنا ، بمكاسبنا وبتضحياتنا ، بعرقنا وبدموعنا ، بساعات ضيقنا ولحظات انتصارنا ، بأزماتنا الاقتصادية الصغيرة التى أصابتنا ، وباشراق الصبح على بلدنا المستقلة ، بهذا كله ، وبكل هذا انتصرنا ..

ونجحت ثورتنا ..

نجحت وأصبحنا حقيقة وصدقا دولة ، وأصبحنا جمهورية ، وأصبحت أرضنا ملكنا ، واقتصادنا فى أيدينا ، وقنالنا لنـــا ، وجيشنا يحمينا ، واخوتنا فى حبات عيوننا ، وعروبتنا حقيقة ، وحيادنا الايجابى مفخرة ، ووجودنا حقيقة ملموسة هى حـــديث العالم أجمع ..

تحررنا كان معجزة ، ولكنه حدث ..

ألا يحق لنا أن نفخر حتى بعيوب الطريقة التى تمت بهـــا المعجزة ..؟

نفخر بها لانها طريقتنا ، ومن بنات أفكارنا ..

٢٣ يوليو ٥٢ ـ ٢٣ يوليو ٥٦

ان الطريق الى الحرية لا يدرس فى المدارس ، ولا توجد هناك جامعة يتخرج فيها قادة الاستقلال ، **فنحن من المعركة تعلمنا ، ومن أخطائنا تعلمنا ، ومن نجاحنا تعلمنا ، ومن غيرنا تعلمنـــا ، ومن عدونا تعلمنا ، ومن أصدقائنا تعلمنا** ، ولنضع قوسين أحدهما يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ والآخر يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٦ ونقول : تلك الفترة ، بكل ما فيها ، وبكل أحداثها ودقائقها وتفاصيلها ، هى الطريق الذى أخذته الثورة فى معركتها الفاصـــلة مع القوى الاستعمارية ..

ولنقل أيضا انه أروع طريق ، لانه أوصلنا الى النجـــاح .. اذ أن نجاحنا دليل فى حد ذاته على أننا سلكنا الطريق الوحيـــد الناجح ..

ونجاحنا أيضا دليل على أن قيادة هذه الثورة كانت أصـــلح قيادة ، وتكتيكها كان أصلح تكتيك ..

وليست هناك طريقة مثالية آكاديمية . فالطريقة المثالية هى فقط الطريقة التى تنجح . والقيادة المثالية هى فقط القيادة التى تكسب النصر ..

ولهذا نعود ونقول ان الوضع الذى كان ، أى قيادة ثورية وقاعدة شعبية بلا أى تنظيم حزبى يربط بينهما كان أحد العلامات المميزة لثورتنا .. **لم يكن عيبا ، ولكنه كان خاصية من خواص هذه الثورة فلربما لم تكن تتم الا بهذه الطريقة ..**

ونحن اذا كنا قد توقفنا كثيرا عند هذا الوضع ، فلان لوقفتنا معنى وسببا ، **فذلك الوضع ، وان يكن قد صلح أيام فترة الانتقال، الا أنه لم يعد يصلح بعدها ، اذ لا بد من تغييره ، لكى تضاف الى علامات ثورتنا علامة جديدة ، وخاصة أخرى من خصائصها ، تستطيع أن تواصل بها الطريق الى الحرية الكاملة فى عالم اليوم ..**

ولكى نزيد الامر وضوحا نقول انه فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٦ كانت مصر قد تخلصت من الملكية والاستعمار بكافة ألوانه ، ورسمت لنفسها سياسة فى المجال الدولى تنبع من صميم مصالحها.

كانت هذه حقيقة ثابتة ، ولكن ثمة وضع ثان كان يشكل الوجه الآخر للحقيقة ..

ذلك أن الاستعمار كان يحيط بجمهوريتنا احاطة تكاد تكون تامة ، والمؤامرات على استقلالنا وحريتنا قائمة على قدم وساق ، والاستعداد للتدخل المسلح موجود فى كل لحظة ، واسرائيل قاعدة الاستعمار فى وطننا العربى تنتظر الاشارة ، والخطر يحدق باستقلالنا الوليد من كل جانب ..

بمعنى آخر كانت فترة الحركة الحاسمة السريعة قد انتهت ولكن الخطر على الاستقلال وعلى مصالح الشعب لم ينته ..

فماذا كان يمكن أن يحدث ؟

هل كان ممكنا أن يستمر الوضع كما هو عليه ؟

أى تستمر حكومة الثورة بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر تقود الشعب فى معركة تأمين استقلاله وحريته ، كما حدث فى خلال السنوات الثلاث التى كونت مرحلة الانتقال ، بلا أى تنظيم سياسى شعبى ..؟

طبعا كان من المستحيل أن يبقى الوضع كما كان .. لا لانه لا يعجب هذا أو ذاك ، ولكن لانه خطر على استقلالنا وحريتنا ..

واذا كانت المسافة بين حكومة الثورة وجماهير الشعب قد ملأتها الثقة المطلقة طوال الاعوام التى مضت ، فالثقة لا يمكن أبدا أن تبقى معلقة فى الهواء ، **ولا بد من تنظيم تلك الثقة وتجسيدها لكى تظل دائما قوة فعالة مستمرة ..**

بقاء الوضع الانتقالى خطر

بقاء وضع كهذا يعد خطراً على كل ما أحرزناه من مكاسب ، وخطرا على كل ما قد نحرزه ، واذا كانت الظروف قد فرضت هذا الوضع فرضا مع ما فيه من مجازفة ، فبقاؤه امعان فى المجازفة وامعان فى جعل نجاحنا كله معلق بالصدف والظروف وحدها ..

ثم ان الوضع لا يجب أن ينسينا أصل القضية . فاذا كان جمال عبد الناصر قد قام بكل ما قام ويقوم به ، فهو « قائد » الثورة ، والثورة ليست هى أبدا ثورة القائد فقط ، انها أساسا ثورة الشعب .

القضية قضية الشعب . وجمال عبد الناصر قاد ثورة الشعب

ضد أعدائه وانتصر • والخطر الذى يهدد الانتصار يهدد الشعب أساسا ويهدد مصالحه •

والشعب حقيقة يثق فى قائده وبايعه أكثر من مرة بثقتـــه الكاملة التامة •

ولكن •••

هل يصبح دور الشعب مجرد منح الثقة •• أو حبسها ؟

هل الشعب الذى غليت مراجله بالثورة حتى أطاحت بعرش ملك وبقوات استعمار وانتصر على عدوان ثلاث دول ممكن أن يظل واقفا بعد النصر موقف المتفرج ؟

لا يمكن أن يستمر الحال

لا يمكن طبعا أن يستمر الحال كما كان فى فترة الانتقال ••• لا لانها فترة الحركة السريعة فقط ، ولكن لانها الفترة التى كان يتولى جمال عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة فيها زمام المعركة باسم الشعب ، فقد كانت حكومة الثورة تتحرك ومن ورائهـــا الشعب يحميها ، يدخل المعركة حين ترى القيادة دخوله ، ويتقدم ويتأخر تبعا للتكتيك الذى كانت تمليه خطوات القيادة ••

كانت طاقة الشعب على الكفاح والنضـــال والخلق والابتكار والتضحية والفداء قد وضعت أمانة فى يد جمال عبد الناصر لكى يستخدم طاقتها الهائلة فى سحق أعداء الشعب ، ولكى يتحكم فى قوتها الخارقة ويوجهها كلها الى المهمة المناسبة فى الوقت المناسب •

وقد انتهت فترة الانتقال •• انتهت الفترة التى أمسك فيهـا قائد الثورة بزمام الامور كلها فى يديه الحازمتين ، وكان لا بد أن يعود زمام الامور اذن الى أصحاب القضية ، الى الشعب •••

فعلى أى صورة يعود زمام الامور الى الشعب ؟

مستحيل عودة الاحزاب

هل يعود فى هيئة نفس الاحزاب التى كانت قائمة أيام الملك ..؟

الجواب بداهة مستحيل ..

فتلك الاحزاب كما قلنا كانت جزءاً لا يتجزأ من الجهاز الملكى، وكانت قد بلغت من الضعف والتهافت والتعفن حدا لم تعد تصلح معه لقيادة الشعب فى معركته لاسقاط الملكية وطرد الاستعمار ، فهل يعقل أن تصلح نفس هذه الاحزاب بعد اسقاط الملكية وطرد الاستعمار لقيادة الشعب فى معركته الرهيبة من أجل تأمين الاستقلال والقومية العربية والتعايش السلمى والحياد الايجابى ؟

من الواضح أن شيئا كهذا لا يمكن أن يكون ، لانه ليس مستحيل التحقيق فقط ، ولكن لانه أيضا ضد قوانين الحياة والتطور ..

ان الثوب الذى كنا نرتديه فى المدارس الابتدائية لا يصلح أبدا لكى نرتديه حين نكبر وندخل المدرسة الثانوية ..

لقد كبرنا وتضخمنا ، وكبرت مفهوماتنا ، ومعاركنا ، ومعالم وجودنا ..

وبالله هل ممكن أن يصدق العقل أن حزب الاحرار الدستوريين أو حزب الوفد ممكن أن يقودنا فى معركة الحياد الايجابى مثلا..؟ أو هل كان ممكنا أن نخوض معركة القومية العربية ونحن تحت قيادة الحزب السعدى مثلا ..؟!

اننا اليوم نحيا فى ظل أوضاع جديدة ليست مختلفة فى الكم فقط عن أوضاعنا السابقة ، ولكنها مختلفة أيضا فى الكيف..

شعبنا اليوم غيره بالامس ·· حتى السرعة التى يتحرك بها ، حتى حكمه ونكته وفنه وأدبه ، كل هذا قد تغير وتطور وأصبح ما حدث فينا ولنا من تغييرات . حقيقة واقعة ضخمة لا تقبل شكا ولا نقضا ··

واذا نظرنا اليوم الى الاحزاب التى كانت قائمة أيام الملك لوجدنا أن خير مكان لها هو كتب التاريخ وذاكرة أصحابها ورؤسائها ··

ان التاريخ لا يعود الى الخلف أبدا ، والامس فات وانتهى ، ومرة أخرى نقول ان الامس فات وانتهى ··

والملك فاروق الآن يحيا حياة الصعاليك فى ايطاليا ، وبريطانيا مستعمرتنا اللدودة قد أصبحت فى خبر كان ، والقومية العربية تنمو وتزدهر ، والعدوان فشل ، ومشروع ايزنهاور فشل ، وحلف بغداد يحتضر ··

الامس فات ·· ونحن الآن فى يوم جديد ، له شمسه الجديدة، ومسئولياته الجديدة ، وما كان صالحا بالامس لا يمكن أن يصلح اليوم ، وخير مكان له هو الامس ·· خير مكان لكل ما حدث فى الماضى هو الماضى ·

واذا عشنا الحاضر بعقلية الماضى فمعنى هذا اننا لا نستحق أن نعيش الحاضر ومعنى هذا اننا مفلسون ··

ونحن لسنا مفلسين ··

نحن أغنياء ·· جدا ·· أغنى من الحاضر ، أغنى من يومنا هذا ، لاننا نحن الشعب ، نحن الثورة ، نحن العرب ، نحن الذين عملنا لهذا اليوم ، وأوجدناه وفرضناه فرضا · أفلا نستطيع بعد هذا أن نعيشه ··؟

مسئوليات اليوم اذن لم تعد تصلح لاحزاب الامس ، وأحزاب الامس لم تعد تصلح لمسئوليات اليوم .

ومسئوليات اليوم لا يمكن أن تبقى موضوعة الى الابد فى أيدى قائد الثورة وحده ..

لا بد أن يشترك أصحاب القضية فى تحمل المسئـولية عن طريق ممثليهم ..

مسئوليات اليوم تسلم الى شعب اليوم ..

الاتحاد القومي

وسيلة الشعب لمزاولة مسئولياته

على أية صورة يتم هـــذا ، وعلى أية صورة يقوم شـــعبنا بمسئولياته ..؟!

لقد نص دستورنا فى المادة ١٩٢ على ما يلى :

يكون المواطنون اتحادا قوميا ، للعمل على تحقيق الاهداف التى قامت من أجلها الثورة ، ولحث الجهود لبناء الامة بنـاء سليما ، من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية

ويتولى الاتحاد القومى الترشيح لعضوية مجلس الامة .

وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية .

الدستور اذن قد حدد الطريقة التى يزاول بها شعبنا مسئوليته

ذلك الدستور الذى اقترحته حكومة الثورة ، ووافق عليـــه الشعب بالاجماع ..

والثورة لم تقترح هذه الطريقة عبثا ، ولم تحاول أن تفرض هذا الشكل فرضا .. لقد اقترحته الثورة لسبب بسيط ، هو انه الطريق الوحيد لكى يزاول الشعب مسئوليته تلك ..

ولنحاول أن نجد طريقا آخر ان استطعنا ..

ولنناقش ما يمكن أن يخطر ..

معنى تأليف الاحزاب

فقد يقال لماذا لم ينص الدستور على حرية تأليف الاحزاب مثلا بدلا من الاتحاد القومى ..؟

ويكفينا للرد على هذا نقطة واحدة . فمعنى تأليف أحزاب ،

انه سوف يوجد أكثر من حزب وسيكون لكل حزب وجهة نظره الخاصة فى مختلف قضايانا الخارجية والداخلية ..

ومعنى هذا أنه سيكون من الممكن لحزب من الاحزاب أن يطالب بقبول مشروع ايزنهاور الذى مات أو حلف بغداد الذى يحتضر .. وطبقا لنص الدستور سيكون من حق حزب كهذا أن يزاول نشاطه ويصدر صحفا ويعقد اجتماعات ، ويدعو لرأيه بكل ما فى طاقته من قوة . ولا يستطيع كائن من كان أن يعترض على شيء من هذا .. تماما كما كان يحدث أيام الملك حين كانت تدعو بعض الاحزاب والصحف الى قبول معاهدة صدقى بيفن ومشروع حلف البحر الابيض ..

ومعنى وجود حزب كهذا انه لم يكن ثمة داع لقيام الثورة أصلا ولا معاداة الاستعمار ..

معناه ان الدستور يتنكر لكل الخطوات الحاسمة التى خطاها شعبنا ..

معناه أن نعود الى الوراء ...

وطبعا اذا سمحت قيادة الثورة لنفسها أن تعود الى الوراء فالشعب لن يسمح ، واذا سمح الشعب فالتاريخ لن يسمح ، والحياة لن تسمح .. أطفالنا وشهداؤنا وضحايانا وعقائدنا وأدياننا لن تسمح ..

وقد يقول قائل أيضا ، لماذا لم يسمح الدستور بتجربة قيام الاحزاب داخل نطاق مقاومة الاستعمار والحياد الايجابى ..؟

وهذا القول يعد فى حد ذاته لغوا . فمعنى هذا أن يسمح الدستور « بحرية » قيام الاحزاب وفى نفس الوقت لا يسمح لها

بحرية وضع برامجها . بمعنى انه يأخذ باليمين ما يعطيه باليسار لانه يوجد الاحزاب وينفي وجودها في نص واحد ..

وحتى اذا فرضنا جدلا وحدث هذا ، فأية قيمة لتعدد الاحزاب فى ظل برنامج واحد . ثم من الذى يراقب الاحزاب ليرى ان كانت تعمل داخل هذا النطاق أو تعمل خارجه ، ومن الذى يتولى عقابها أو الغاءها أو لفت نظرها ؟

ألا يعد هذا حينئذ مهزلة ؟

وضع لا بد من مراعاته

نحن اذن فى ظل وضع لا بد من مراعاته ..

الحرية هى دائما حرية الحركة داخل وضع محدد .. ومحدد لان الاوضاع دائما محددة ، وقد كنا وسنظل داخل وضع محدد يحتم علينا أن نتحرك فى نطاقه فقط ، وأن لا نتجاوزه .. والا هلكنا ..

وان لنا أعداء ، وأذنابا ، أعداء استعمرونا وأذلونا ثم ثرنا عليهم وطردناهم ، وخرجوا من بلادنا ولا يزالون يتربصون بها ، ويتحينون الفرصة لطعننا واستعادة سيطرتهم علينا .

ونحن لا نهزل حين نقول هذا ، لان أعداءنا لا يهزلون .. ان اجرامهم لا حدود له ، ودماء ضحايا بورسعيد لم تجف بعـــد .. ضحايا حقيقيين صرعتهم أيدى أعدائنا الغاشمة .. ونفس الايدى التى يقطر منها الدم لا تزال تتحين الفرصة للوثوب علينا ..

واذا عسكرت جماعة فى غابة فانها لا تزاول حريتها فى النوم أو اليقظة كما يحلو لها ، والا لزاولت الذئاب والسباع حريتها فى التهامهم كما يحلو لها ..

اليس كذلك ....؟!

لا بد اذن من ايجاد وضع ، نوفق فيه بين رغبتنا الغريزية فى النوم واليقظة كما يحلو لنا وبين الخطر الجاثم من حولنا ..

ولهذا يتحتم أن نضع فى اعتبارنا دائما الوضع الذى نحن فيه عند تفكيرنا فى الوسيلة التى يمكن للشعب بها أن يزاول حريتـــه ومسئوليته ...

والوضع الذى نحن فيه ببساطة أننا مهـــددون بالاعتداء علينا وسلب حريتنا واستقلالنا ، كلنا مهددون ، كلنا بأرضنا وسمائنا وقنالنا وطبقاتنا وآلامنا وأمالنا .. ولهذا لا خلاف بيننا على أن واجبنا الاول هو مقاومة هذا التهديد ، وأخذ الحذر ، وتدعيم حريتنا واستقلالنا ..

نحن كلنا متفقون بالاجماع على مقاومة الاعداء مهما كان هؤلاء الاعداء ، والتعاون مع الاصدقاء مهما كان أولئك الاصدقاء .. تلك هى الحقيقة البسيطة .. وهى أيضا الطريقة الوحيـــدة لكى نبقى أحرارا ، ولكى لا نموت ..

الاتحاد القومى بكل بساطة

ذلك هو الاتحاد القومى بكل بساطة ..

انه ليس حزبا ، وليس جبهة ، وليس معنى انشائيا مجردا ، انه طريقنا للدفاع عن النفس ، ولا طريق سواه . انه ليس وسيلة اختيارية بل هو ضرورة حتمية تمليها ظروفنا الجديدة ومسئولياتنا الجديدة ..

فاذاكان وجودنا نفسه بعد الثورة ضروريا ـ وطبعا وجودنا نفسه ضروريا ـ فوجودنا فى شكل اتحاد قومى ضرورة لازمة لهذا الوجود ..

تلك هى الفكرة من الاتحاد القومى ..

وذلك هو السبب الذى من أجله نص دستورنا على وجوب قيام الاتحاد القومى .

علامة السنة السابعة

ان الاتحاد القومى هو علامة السنة السابعة لثورتنا ، فاذا كان الشكل الذى اتخذته ثورتنا على الاستعمار هو عزل الجيش عن الملك ثم عزل الملك عن الشعب وعن القوات الاستعمارية ، ثم قهر العدوان الاستعمارى وتدعيم حيادنا الايجابى ، فان السمة اللازمة لاتمام مهام ثورتنا الباقية هى ان نكيف انفسنا لهذا الوضع الجـــديد ، وننظم أنفسنا طبقا لمـــا يمليه هذا الوضع تماما مثلما كيفنا أنفسنا طبقا للاوضاع الكثيرة التى مررنا بها ..

فالثورة كانت أول الامر تنظيما سريا ثم أصبحت مجلس قيادة ثورة ثم أصبحت حكومة تقود شعبا بلا واسطة بينهما ، والوضع يحتم علينا الآن أن يقود الشعب نفسه بنفسه ، وأن يصبح الشعب حر القيادة وحر القاعدة ، وهو المشرع وهو المنفذ ، وهو الحاكم وهو المحكوم ...

وهو الثورة ..

ولكى يتحقق هذا لا بد من الاتحاد القومى .

انه الوضع الذى كان يتحتم على ثورتنا أن تنتهى اليه كما تحتم عليها أن تبدأ كما بدأت ..

فكيف يتم هذا الوضع ؟.

فى التطبيق

واذا جئنا للتطبيق ، فما هو الاتحاد القومى فى الواقع ؟ ..

قبل أن نجيب على هذه الاسئلة لا بد من ذكر حقيقة مهمة .

فمع أن تعبير الاتحاد القومي تعبير غريب لم يطرق مسامعنا من قبل ، **الا أن حقيقة الاتحاد القومي نفسها ليست غريبة بالمرة ، انها شيء نعيشه ونحياه ، شيء قائم وموجود فعلا ، وكل ما فعله الدستور هو أن سماه ...**

أما كيف هو قائم فعلا ، فان المسألة فى غاية البساطة ..

قبل الثورة كان الشعب يحكم أسما من خلال توالى الاحزاب التى كانت تدعى تمثيله على مقاعد الحكم ..

واثناء الثورة حين الغيت الاحزاب والملكية كان الشعب يحكم من خلال قيادة الثورة ، أى أن قيادة الثورة كانت تتولى تنفيذ المطالب الشعبية وخوض المعارك باسم السلطة التى تستمدها من حقيقة هى أنها ثورة الشعب ضد الاوضاع الفاسدة التى أدت الى الثورة ..

وبعد فترة الانتقال ، انتخب الشعب بالاجماع الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية اعتمادا على تاريخه الناصع وصموده الجبار من أجل تنفيذ المطالب الشعبية ، وثقة فى اخلاصه ، وايمانا بأنه سيمضى قدما لتحقيق ما لم يتحقق بعد من مطالب الشعب .

وحين نقول ان الشعب بالاجماع قد فعل هذا ، فنحن لا ننكر الحقيقة التى تقول أن الشعب مكون من طبقات بينها منازعات داخلية وخلافات .. **ولكننا نقول أن مصالح الشعب بكافة طبقاته وفئاته قد اتفقت على نقاط لا خلاف بينها عليها ، هى الاستقلال والقومية العربية والحياد الايجابى والحرية والسلام ..**

وهذه الطبقات والفئات التفت رغم كل خلافاتها حول شخص الرئيس جمال عبد الناصر لتنفيذ هذه المطالب ..

بمعنى أن هناك ، سواء أردنا أم لم نرد ، نقط التقاء بين أفراد الشعب فى الجمهورية عامة وبين طبقاته ، وان نقط الالتقاء هذه هى التى حددت الثقة المطلقة فى الرئيس جمال ، وهى التى تحدد أيضا حركة الشعب فى خلال المرحلة التاريخية الحاضرة ..

نحن اذن لا ننفى وجود عشرات نقاط الخلاف بين أفراد الشعب بعضهم البعض وبين طبقاته ، فتلك حقيقة موجودة لا سبيل الى نفيها أو انكارها ، ولكننا نقول ان هناك نقط التقاء ثابتة ... وان برنامج حكومة الرئيس جمال عبد الناصر قائم على أساس هذه النقط ..

وعلى هذا فحين حدث العدوان الثلاثى الغاشم مثلا ، تكتل الشعب وراء زعيمه فى جسد بشرى واحد للدفاع عن نقط التقائه هذه ولحمايتها من أعدائها وأعدائه الغاشمين ..

والوضع الآن هو أن هذه النقط لا تزال مهـــددة ، ولا يزال الخطر يحدق بها ..

فمن واجبنا اذن تأمين هذه النقط ، من واجبنا تأمين استقلالنا وحريتنا وحيادنا وعروبتنا . ولن يتم هذا التأمين بأن يقف شعبنا بجميع أفراده وهيئاته وطبقاته حول شخص الرئيس جمال عبد الناصر فقط ، ولكن لا بد أيضا لكى يتم هذا التأمين أن تتجسد نقط التقائه هذه فى تنظيم واحد يقود شعبنا بجميع أفراده وهيئاته وطبقاته فى اتجاه هذه النقاط ..

وبغير هذا لن يوجد الشكل النهائى المستقر للثورة ..

اذا ظل شخص الرئيس جمال فقط هو محل ثقة الشعب وحده، وبقيت المسافة بينه وبين جماهير الشعب خالية من قيادة شعبية هى أيضا محل ثقتنا كشعب ، اذا ظل الوضع هكذا فسوف يظل الخطر محدقا بكل مكاسبنا وبكل نقط التقائنا ، وباستقلالنــــا ، وبحريتنا وبعروبتنا وبحيادنا ..

لقد التقينا عند شخص الرئيس جمال عبد الناصر فى الحقيقة كزعيم وكرائد وكرمز ..

والاتحاد القومى باختصار هو جمال عبد الناصر الرمز ..

هو تجسيد لجمال عبد الناصر الرمز ..

هو تجسيد لاهدافنا المشتركة وصالحنا المشترك ..

هو خط الثورة فى كل منا ..

هو الجزء الذى ثار والذى يجب أن يبقى ثائرا ومن الواجب أن يحمى كل ما أحرزناه ، ويناضل فى سبيل ما لم نحرزه ..

لقد كان كل واحد منا يدافع عن مصر أيام العدوان الغاشم كأن مصر كلها ملكه وهو وحده المسئول عنها ، وحين كنا نفعل هذا كنا نمثل أروع تمثيل ثورتنا على حقيقتها ، بمعنى أننا فى أيام المحن فقط كان كل فرد منا هكذا ، وكانت الطبقات تتناسى كل ما بينها من خلافات ، أقصد فى أيام المحن الظاهرة للعيان فقط ،حتى اذا ما مضت ، عاد كل منا الى طبيعته والى مشاكله مع غيره ومع نفسه ..

هدف الاتحاد القومى

الاتحاد القومى يهدف من بين ما يهدف الى أن تبقى الشعلة التى تثور فى كل منا أيام المحن موقدة ومضيئة ، يحملها أناس فى أيديهم ننتقيهم بعناية لنضمن نقاء عناصرهم وسلامة الضوء الصادر عنهم ، أناس اختلطت قضيتنا العامة بأشخاصهم ، واختلطت أشخاصهم بقضيتنا العامة حتى صاروا والقضية وحدة واحدة لا تتجزأ ..

أجل . الاتحاد القومى وجد بيننا فعلا ، وزاولناه أيام العدوان الغاشم ، زاولناه أيام تأميم القنال ، زاولناه أيام المؤامرة على الاقليم الشمالى ..

وأيام الوحدة ، زاولنا الاتحاد القومى بكل معناه وبكل مراميه لدى كل اعتداء ولدى كل انتصار ..

وبالطريقة التى زاولناه بها كان الاتحاد القومى موجودا بشكله الحقيقى، فلم يوجد لينطق باسم فئة من الفئات ولا هيئة من الهيئات أو فرد من الافراد .. **وجد لينطق باسم شعبنا العربى كـــله ، وبالذات باسم مطالبه الاساسية التى تلتقى عندها كل فئاته وطوائفه وأفراده** .. بل إنه حين وجد لم يكن ينطق باسم مطالبنا الاساسية نحن الشعب العربى فقط بل كان فى واقع أمره ينطق باسم المطالب الاساسية لغيرنا من الشعوب فى المنطقة ، باســم كل شعب ثــائر فى عصرنا الحاضر ، وباسم كل شعب يدافع عن استقلاله مثلنا ..

باسم الشرف وباسم القيم الانسانية العليا التى أرادها لنـــا خالقنا ونزلت بها كتبه ورسالاته ..

ذلك هو الاتحاد القومى كما نريده أن يظل موجودا لا فى أوقات المحن والانتصارات فقط، ولكن على الدوام، ولن تكون مهمته مقصورة على الدفاع عن مطالبنا الاساسية فقط ، ولا على الدفاع الشرعى عن النفس فقط ، ولكن لكى تصبح مهمته الدفاع الايجابى المتواصل عن النفس ، الدفاع الذى لا ينتظر العدوان ليدافع ولــكنه يمنــع العدوان قبل وقوعه ، الدفاع الخلاق الثائر لا ينضب حماسه .

بهذا لا يصبح الاتحاد القومى مجرد هيئة ، ولكنه يصبح جامعة الوطنية التى تربى وتدرب وتعلم وينصهر فيها زعماء المستقبـــل وقادته ورجال أحزابه الجديدة ، الاحزاب التى سوف تنشــأ عــلى أسس جديدة فى العالم القادم الجديد ، العالم الذى سيتخلص من الاستعمار والعدوان والتهديد ..

ولهذا فنحن لا نريد ان نكتفى بالشكل الحتمى الذى وجد به الاتحاد القومى ..

كيف يتـم

انبا نريد هذه المرة وقد وعينا وجوده وأدركنا خطورته أن نطور هذا العمل الحتمي ونبنيه ، ونفعل هذا بأقصى ما تستطيع عقولنـا أن تبتكره له من تنظيمات ووسائل ، وبأقصى ما تستطيع ثورتنا ان تصنع له من أجهزة ، اذ هو سدنا العالى ضد التأخر ، وضد العودة الى الماضى المظلم السحيق ، ومن أجل تدعيم وجودنا وبذل معونتنا لغيرنا من الشعوب التى تخوض مثل معاركنا ، وتقريب اليوم الذى يسود فيه الامن هذا العالم وينتهى فيه العدوان ..

فكيف يتم هذا .. ؟

فى رأيى أنه لا يتم الا بطريقة واحدة ، هى ان يكون الاتحـاد القومى اتحاداً قوميا حقيقا . كالاستقلال تماما ، ليس هناك ربع استقلال أو نصف استقلال ، إما استقلال واما عبودية ، واما اتحاد قومى واما فلا ..

ولهذا فنحن لا نتمتع بحرية كبيرة حين نريد بناء هذا الاتحاد .. فطريقة بنائه تحددها المهمة التى تنتظره ، الطريقة تمليهـا كلمة الاتحاد القومى نفسها ..

وبمعنى أنه اذا تركنا الحكومة تقيمه ـ حتى حكومة الثـورة ـ فمعنى هذا ان يصبح أحد الاجهزة الحكومية الكثيرة، وينتفى الغرض من وجوده ..

ونحن اذا تركنا اتجاها معينا يسيطر على تكوينه ، فمعنى هذا أن يتحول الى حزب يمثل فئة من فئات الشعب ، وبالتالى فانه لن يمثل بقية الفئات والطوائف ، فينعدم الهدف من وجوده ..

ونحن اذا جعلناه يهبط على شعبنا من أعلا كالتفاحة الناضجـة فانه لن يكون حينئذ ثمرة ناضجة وانما يكون ثمرة فاسـدة ، لأن

الاتحاد القومى مثله مثل الثورة ، لا تهبط على الشعب من أعلى ، ولكنها تنبع من ذات الشعب ومن ضميره ، ومن صميم رغبـــاته ومصالحه • والفائدة العظمى من الثورة تأتى لأن الذى يقوم بهـا هو الشعب نفسه ، لأن الشعب أثناء عملية ثورته يتغير ويتطور ولهذا فانه حين يصل الى الاوضاع الجديدة التى تقوم بعد الثورة يصل اليها عن استحقاق ، وعن صلاحية ، ويمكنه أن يحيا فى ظلها حياة شريفة سليمة ••

واذا حدث أن تحققت الثورة لشعبنا بوسيـــلة ما بغير دمه وعرقه ، أى اذا لم يخض الشعب تجربة الثورة ، فانه لا يتغيـــر ، وبالتالى لا تكون الثورة قد أتت بنتيجة كبيرة ولا حتى صغيرة ، اذ أن أهم شيء فى الثورة هو أنها لا تحطم أوضاعا بالية عتيقة وتأتى بأوضاع جديدة قوية فحسب ، وانما أهم شيء فيها هو ان هذه العملية تصاحبها عملية ثورة داخلية فى قلب أفراد الشعب أنفسهم، تتحطم نتيجة لها أوضاع وقيم بالية ، وتخلق أوضاع وقيم جديدة ••

وهنا تكمن كل فائدة الثورة ••

فلا فائدة أن ينال العبد حريته ويزاولها بروح عبد•• ان الفائدة التى تأتى من ثورة العبد على قيوده وسيده هى أن روح العبد تتحطم فيه أثناء هذه الثورة وتتفجر فيه روح الحر ، ولهذا حين ينـال حريته يزاولها كحر ••

بهذا فقط تكون ثورته قد نجحت ، ويكون قد نجح فى تحطيم أغلاله الخارجية وأغلاله الداخلية ، وأصبح حرا فى الداخل وحـرا فى الخارج ••

وقفة صـــغيرة

ولنقف وقفة قصيرة ، عند هذه النقطة ، اذ أنها شديدة الصلة بموضوعنا ••

فنحن حقيقة قد نجحنا فى طرد الاستعمار ، ونوال الحرية ، وتحطيم كافة الاوضاع الفاسدة التى كانت تقيدنا ..

ولكن ..

هل نجحنا حقيقة فى تحطيم الاوضاع الفاســدة التى كانت فى داخلنا .. ؟

هل قتلنا فى أنفسنا روح العبد الى الابد ، وأصبحنا نحيا بروح الحر .. ؟

ذلك سؤال قد يجيب عليه بعض المتحمسين بقوله : أجل لقد تم هذا ..

والواقع ان هذا لم يتم بعد أو على الأقل بالنسبة للبعض فينا..

.. ان أقساما منا لا تزال تحيا فى الحاضر المزدهر بنفس عقلية الماضي الغابر ، ولا زالت أقسام منا تردد نفس النغمات التي تعودت ترديدها وأرضنا محتلة أيام أن كنا نحيا فى سجن كبير ..

لا زال البعض منا يحيا كما لو كان الانجليز هم الذين يحكموننا، ولا يزال هذا البعض يحس رغما منه بالخوف من الحكومة ..

ان هذا البعض لم يدرك بعد ان تضحية كل منا بجزء منه لانقاذ جماعتنا الكبيرة هو قمة الانسانية وقمة الحرية ..

انهم لا يزالون ينظرون الى التضحيات كما لو كانت ضرائب تجبيها الحكومة .. !

ان على هؤلاء ان يستيقظوا . وعليهم أيضا ان يدركوا الحقيقة الواضحة التى يعيشون فى ظلها ..

عليهم أن يدركوا ان حكومة اليوم مختلفة اختلافا أساسيا عن حكومة الأمس ، فهى منهم ولهـــم ، وهى ليست عدوتهم ، هى

الحكومة التى تدافع عنهم فى الخارج فكيف لا ترعى أمورهم فى الداخل .. ؟

عليهم أن يدركوا ان الارض أرضهم والحكومة حكومتهم ، والمستقبل مستقبلهم هم .. هم وحدهم الذين بيدهم أن يجعلوا منه جنة أو يجعلوا منه جحيما ، وهم وحدهم الذين سوف يقودون أنفسهم للوصول الى هذا المستقبل ..

أجل .. نحن الذين علينا أن نقود أنفسنا بأنفسنا لنحمى الحاضر ونصنع المستقبل ..

والاتحاد القومى هو الوسيلة التى نقود بها أنفسنا بأنفسنا..

ويجب أن يكون هو الوسيلة التى نقود بها أنفسنا بأنفسنا .. هو وسيلة الحر لقيادة نفسه الحرة ..

وهو من هذه الزاوية يختلف أيضا اختلافا أساسيا عن التنظيمات التى كانت قائمة قبل الثورة ..

لقد كانت تلك التنظيمات وسيلة عبيد يريدون تحسين أحوالهم وتغيير قيودهم بقيود أخف ..

كانت وسيلة إستجداء ..

أما الاتحاد القومى فهو وسيلة الاحرار ..

وسيلة حر يثق فى نفسه ، وفى مزاياه وحتى فى أخطائه ..

وسيلة من تحرر وأدرك أن البلد بلده والارض أرضه وكل ما عليها خاضع لسلطانه ، وليس له الا أن يقول للوضع كن فيكون .

هو البوتقة التى سوف تنصهر فيهـــا كافة أوضاعنا الداخليـــة التى لم تغيرها الثورة بعد ، البوتقـــة التى سوف تنضـــج فيها شخصيتنا كاملة ..

تنضج فيها وحدتنا ، وأيضا تنضج فيها خلافاتنا ..

تنضج وحدتنا ، وحدة أحرار أقوياء وليست وحدة عبيد ضعفاء، وتصبح خلافاتنا وهى ليست خلافات عبيد أذلاء ، ولكنها خلافــات أحرار تحرروا من الخوف والاوهام والطعن من الخلف وفى الظلام.

انه جهاز توجده الثقة فى أنفســنا كشعب لينمى الثقـــة فى أنفسنا كثورة ، جهاز يجمع الجزء الثائر فى كل منا ، ويضمه الى الاجزاء الثائرة الاولى لتكون جميعها قيادة ثورتنا ..

هو الاناء الشفاف الذى يحوى كل الحائزين على ثقة شعبنا ، وكل البللورات الثائرة المتفرقة لتجتمع وتعمل وتكافح من أجـــل تطوير فنها وبلدها وشعبها وتحقيق أهدافه وآماله ..

تنظيم لنا جميعا

هو بالاختصار تنظيمنا جميعا كأمة ، وكيان كل منا كفـرد ، والتنظيم الذى نفخر به كأمة ونفخر به كأفراد ..

التنظيم الذى يستطيع أن يجمعنا فلاحين وعمالا وطلبة وأساتذة جامعات وتجار وموظفين ، لنجد فيه نفسنا الواحدة وشخصـيتنا الواحدة ، ولنجد فيه الوحدة الحقيقية ، ولنختلف فيه الاختــلاف الحقيقى ، ونتعلم كيف يمكن أن نتحرك جميعا داخل نطاقه فى خط مستقيم واحد ، وفى نفس الوقت كيف يمكن أن نتحرك فى خطوط

جانبية وفرعية دون أن نحيد عن خطنا الواحد المستقيم ، ودون أن نبعثر صفوفنا أو نبدد مكاسبنا ..

ونحن الآن وبعد ست سنوات من قيام الثورة نحيا فى ظل أوضاع مختلفة تماما عن أوضاعنا قبل الثورة ، بلادنا الآن بلاد مستقلة ذات سيادة ، تسيطر على أرضها ومقدراتها وجيشها وحكومتها ، وتعمل لاتمام رسالتها الخالدة فى جمع شتات أمة العرب وفى سحق كافة القوى الاستعمارية فى منطقة الشرق الاوسط وآسيا وافريقيا ، وتصادق من يصادقنا وتعادى من يعادينا ..

وأوضاع جديدة تماما علينا وعلى العالم ، والعالم ينظر الينا الآن من خلال هذا المنظار وفى داخل ذلك الاطار ..

أفلا ننظر نحن لأنفسنا من خلال ذلك المنظار وداخل ذلك الاطار ؟ ..

هذه الاوضاع الجديدة صنعها شعبنا بثورته ، وكان شعبنا يخلق دائما القيادة المناسبة للمرحلة المناسبة ..

واليوم لا بد لهذه الاوضاع الجديدة من قيادة جديدة ، قيادة تكون أكبر وأوعى ، قيادة تستوعب قضيتنا الحاضرة ولا تتفرق فى تفاصيلها ، قيادة تتحرك الى أهدافنا بأسرع منا ، قيادة هى كل مقدرتنا واخلاصنا وحماسنا وطاقتنا على الحركة ..

قيادة الاتحاد القومى

تلك القيادة هى اتحادنا القومى ..

وتلك القيادة لا تستطيع الآن أن تقول عن طاقتها وشـــكلها وقدرتها كل شيء ، فذلك أمر متروك لها حين تلتقي وتخلـــق هي بنفسها شكلها وأسلوبها وطريقتها ، ولكننا نعتقد أننا بكل ما قلناه عن هذه القيادة ونقوله ، إنما نعبر عن بعض ما يجيش فى صدورنا وفى صدور شعبنا من آمال يعلقها على قيام الاتحاد القومى، والحديث فى هذا قد يطول ، بل لا بد ان يطول ..

ولكننا يجب ألا نتحدث فقط

يجب أن يمتزج ما نريده في المستقبل بما نعمله الآن ، وما نحلم به لأيامنا المقبلة بما ننجزه فى أيامنا الحاضرة ..

يجب أن نتحدث ونحن نعمل ، ونتحدث عما صنعناه حقيقـة وعما يمكن أن نصنعه أكثر من حديثنا عما يجب أن نصنعه ..

وقد رأينا ان قيام الاتحاد القومى ليس ضرورة حتمية فقط من ضرورات ثورتنا ، ولكنه أكثر من هذا ، مسألة حياتنا فى حاضرنا ومستقبلنا أو موتنا .. حياتنا كلنا أو موتنا كلنا .

واذا كان كل منا يسأل نفسه كل يوم فى آخر يومه ماذا صنعت لتدعيم حياتى ؟

واذا كان كل مخلص منا كان يسأل نفسه أيام الملك فى آخـر اليوم ماذا صنعت لانهاء هذا الوضع الخانق ؟

فيجب على كل منا ان يحس بنفس هذه المسئولية تجاه ما يجرى فى بلادنا اليوم ويحس بها احساسا مضاعفا ، ويسأل نفسه أيضا فى آخر كل يوم **ماذا فعلت لتدعيم وحدتنا القـومية ، وكم لبنـــة أضفت لبناء الاتحاد القومى ..**

يجب هذا وجوب نسمات الهواء التى نستنشقها ، ونبضات الحياة التى تسرى فى دمائنا ، لاننا اذا كنا نحاول اليوم أن نبنى بلادنا بعد أن أصبحت بلادنا فعلا ، فمن الواجب أن نبنيها جسدا وروحا ..

واذا كانت المصانع والجيوش والمدارس والخزانات تكون جسد أمتنا ..

فالاتحاد القومى هو روحها ..

مطابع شركة الاعلانات الشرقية

الثمن : ٣٠ مليما أو ٣٠ ق ٠ س